شرح كتاب

القَوَاعِدُ المُثْلَى

فِي صِفَاتِ اللّهِ وَأَسْمَائِهِ الْحُسْنَى

أُلقي عام ١٤٣٠من الهجرة النبوية الشريفة

بسم الله الرّحمن الرَّحيم

تقدّم لكم مدوّنة (عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ) تفاريغ من دروس الأستاذة الفاضلة

أناهيد بنت عيد السميري حفظها الله

ونسأل الله أن ينفع بها.

https://anaheedblogger.blogspot.com/

تنبيهات هامة:

- منهجنا الكتاب والسّنة على فهم السّلف الصالح.
- هذه التّفاريغ من عمل الطّالبات ولم تطّلع عليها الأستاذة حفظها الله.
- الكمال لله -عزَّوجلَّ-، فما ظهر لكم من صواب فمن الله وحده، وما ظهر لكم من خطأ فمن أنفسنا والشّيطان، ونستغفر الله.

والله الموفّق لما يحبّ ويرضى.

اللّقاء الأوّل

بسم الله الرّحمن الرَّحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الحمد لله الذي أنعم علينا بالعلم ويسّر لنا سبله، ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم، نسأله -سبحانه وتعالى- الذي أنزل الكتاب وأرسل الرسول أن يجعل لنا أعظم الحظ والنصيب من العلم بكتابه والعلم بسنة رسوله. كما هو معلوم فإن أصدق الحديث كلام الله وأحسن الهدي هدي محمد -صلّى الله عليه وسلّم- فنحن نرجوه أن يجعل لنا أعظم الحظ والنصيب من العلم بكتابه والعلم بسنة رسوله ونسأله أن يقينا البدع والمحدثات فشرّ الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.

وكما هو معلوم أن من أعظم ما ينبغي لطالب العلم الاعتناء به: العلم عن الله الذي مصدره الكتاب والسّنة، والعلم عن الله سبب لزيادة الإيمان وسبب للثبات والهداية للصراط المستقيم، ونحن في الحقيقة لسنا في معرض الكلام عن ما في أسماء الله -عزّ وجلّ- من مصالح.

كما اتفقنا أن مسألة العلم بأسماء الله -عزّ وجلّ- وصفاته مقصد للخلق والأمر، الله -عزّ وجلّ- في كتابه أخبر في أواخر سورة الطلاق {اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ}[1] لماذا؟ {لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا} فعُلم من ذلك أن مقصد خلق السماوات والأرض معرفته -سبحانه وتعالى- بأسمائه وصفاته، فإذا تحقق هذا المقصد وجد الذل له والعبادة ما هي إلا ذل لرب العباد، فإذا تبيّن لنا طرف من أهمية العلم بأسمائه وصفاته وجب علينا أن نعلم أن أهل السّنة والجماعة -بارك الله فيهم وزادهم قوة وامتثالًا لأمره واستقامة على

---

(١) الطلاق: ١٢.

دينه وطاعة له- قد تحرروا من قيد الأهواء وتكلموا عن الرب -سبحانه وتعالى- بما نصّت عليه الأدلة، فتميّز أهل السّنة والجماعة عن غيرهم في معتقدهم في الأسماء والصفات، وقد حرروا في هذا الباب التحريرات العظيمة وكتبوا فيه الكتب الكبيرة وكان إمامهم ومَن رفع شأن السنة هو: الإمام أحمد -رحمه الله وأجزل له المثوبة- ومن بعده كان أهل السّنة والجماعة متابعين لخطاه فبرز منهم كثير، فإذا رأيت بعض الكتب التي تسمى (السّنة) مثل: (كتاب السّنة) لأبي عاصم و(اعتقاد أهل السّنة للّالكائي) و إلى آخره من كتب السّنة التي دفعوا فيها الشّبه ومن أشهر ما كُتب في اعتقادنا في الأسماء والصفات (الطحاوية) ومثلها (الواسطية) وإن كانوا كلاهما يتكلّم عن ما يميّز أهل السّنة والجماعة عن غيرهم وهو ما يسميه أهل السّنة بـ(مجمل اعتقاد أهل السّنة.)

فمعتقد أهل السّنة والجماعة حول باب الأسماء والصفات قد قُيّد وحرّر تقيدًا دقيقًا، وهذه من النعم العظيمة: أن يسهل على طالب العلم أن يجد ميراثًا عظيمًا فيه الرد على المخالفين وفيه البيان الواضح للمعتقد الصحيح، ومن أشهر ما قُيّد مؤخرًا هذا الكتاب المبارك للرجل المبارك -أحسبه كذلك ولا أزكي على الله أحد- ولن نتكلم في الثناء على صاحب الكتاب بل نحول هذا الثناء إلى دعاء فنسأله -سبحانه وتعالى- بمنّه وكرمه أن يرفع درجاته في عليين وأن يجعل ما ترك خلفه من ميراث ينفع الطلبة وأن يجعل كل من ينتفع به في ميزانه وأن يضاعف من ينتفع به ويرفع قيمة ما كتب وما تكلم به وإن كنا نحبه حبًا جمًّا فهذا الذي يمنعنا عن الكلام عنه وهذا الذي يمنعنا من الثناء عليه لكن ما ستجدونه في ثنايا الكتاب من تجميع لأطراف المسائل وبيانها سيشهد لإتقان الشيخ خصوصًا من قرأ في باب الأسماء والصفات فيرى كيف أن الله فتح عليه بإتقان القواعد وحبكها وهذا فضل الله يؤتيه من يشاء.

إذًا مقصدنا التعلم عن معتقد أهل السّنة والجماعة في باب الأسماء والصفات، لماذا نتعلم معتقدنا في باب الأسماء والصفات؟ لأن الأسماء والصفات مهمة ولأن المعتقد في الأسماء والصفات زلقت فيه الأقدام وتميز معتقد أهل السّنة والجماعة عن غيره

فيه، أما العامة فلا حاجة لهم في الكلام الدقيق حول قواعد الأسماء والصفات، لكن العامة يحتاجون ربانًا لسفينتهم يفهم تفاصيل طريق النجاة وليس شرطًا تفاصيل طريق النجاة إنما يأخذهم بيده إلى طريق النجاة، فهكذا من يخاطب العامة يتعلم هو المعتقد الصائب ويحذر من المخالفات ويتعلم المسألة بكل دقة فإذا خاطب العامة كلمهم بما يستوعبون وعمّا يفهمون وعمّا يحتاجون وسرّب لهم من الأدلة ما به يعتقدون لكن ليس شرطًا أن يدرسهم بالتفصيل القواعد في أسماء الله وصفاته إنما يكفي أن يبين لهم مجمل ما يعتقدونه في هذا الباب.

فعلى هذا يكون تعلمنا في باب الأسماء والصفات تعلم خاصة طلبة العلم وأقصد أنهم ليسوا عوام، حاجتنا إذًا لتعلم الأسماء والصفات:

- من أجل أن نأخذ العامة إلى طريق النجاة.

- ومن أجل ألّا تنزلق أقدامنا في معتقد مخالف لمعتقد أهل السّنة والجماعة في مسألة أخطر ما تكون بهذا المعنى.

وربما تشعرون جميعكم بزمن طويل عشناه غُيّبنا عن أسماء الله وصفاته ولم يكن هذا الأمر اتفاقًا يعني لم يكن الأمر كما اتفق أتى من ضمن صور الجهل، لا، ولا ننكر أن الجهل كان عامًا، لا نعلم أمورًا كثيرة عن الدين **لكن** غُيّب باب الأسماء والصفات بكذب وافتراء على أن من سيدخل هذا الباب سيضيع! ولازالت مثل هذه الكلمات تتردد على ألسنة أناس كثير، أن احذر من الكلام في أسماء الله صفاته! وإن كان قد زال الكثير من هذا التخوف.

على كل حال، نريد التكلم عن أسماء الله وصفاته ونحن على أرض ثابتة بعيدين عن التعالم والقول على الله بلا علم ولذلك اخترنا أن ندرس (**القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى**) لما ذُكر سابقًا.

أما طريقة الدراسة فهي: قراءة المتن ثم التعليق عليه بما يتيسر من تعليقات وتقرير المسائل الموجودة في الكتاب وعنونتها، نبتدئ مستعينين بالله نقرأ مقدمة المؤلف يقول:

(الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله. صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان وسلم تسليمًا.)

هذه المقدمة المشهورة بين أهل العلم بدأت بالحمد والثناء على الله -عزّ وجلّ- قال بعدها المؤلف:

(وبعد: فإنّ الإيمانَ بأسماء الله وصفاته أحدُ أركان الإيمان بالله تعالى وهى:)

ثم بيّن المؤلف أركان الإيمان بالله تعالى قال:

(الإيمانُ بوجود الله تعالى، والإيمانُ بربوبيّته، والإيمانُ بألوهيّته، والإيمان بأسمائه وصفاته.)

وكما هو معلوم أنّ أول أركان الإيمان هو: الإيمان بالله، والإيمان بالله كما عرّفه أهل العلم: أن تؤمن بأن الله -عزّ وجلّ- موجود وأن تؤمن أنه الربّ على الحقيقة وأنه الإله على الحقيقة وأن له الأسماء الحسنى والصفات العلى فقال:

(وتوحيدُ الله به أحدُ أقسام التوحيد الثلاثة: توحيدُ الربوبيّة، وتوحيدُ الألوهيّة، وتوحيدُ الأسماء والصفات.)

فإذًا أنت مطلوب منك أن تؤمن بالله: تؤمن بربوبيّته وألوهيّته وأسمائه وصفاته، وتوحّده في ربوبيّته وألوهيّته وفي أسمائه وصفاته فإذا آمنت أنه ربّ وإله وله الأسماء الحسنى والصفات العلى فوحّده بالربوبيّة ووحده بالألوهيّة ووحّده بالأسماء والصفات.

(فمنزلته في الدين عاليةٌ، وأهميته عظيمةٌ، ولا يمكن أنّ أحدًا يعبدُ اللهَ على الوجهِ الأكمل حتى يكونَ على علمٍ بأسماء الله تعالى وصفاته، ليعبدَه على بصيرة. قال الله تعالى: {وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا}[1])

إذًا عبادة الله على بصيرة لا تكون إلا بمعرفة أسماء الله -عزّ وجلّ- وصفاته (ولا يمكن أنّ أحدًا يعبدُ اللهَ على الوجهِ الأكمل حتى يكونَ على علمٍ بأسماء الله تعالى وصفاته) واستدلّ على ذلك بقوله تعالى: ({وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا}) وأتى الشيخ وبيّن وجه استدلاله بهذا الآية، ما معنى {فَادْعُوهُ بِهَا}؟ لأنه قرر أن الله لا يمكن لأحد أن يعبده على الوجه الأكمل حتى يكون له علم بأسماء الله -عزّ وجلّ- وصفاته، فمن أين له هذا التقرير؟! استدلّ بقول الله تعالى: {وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى} إذا كانت لله الأسماء الحسنى ماذا تفعلون؟ {فَادْعُوهُ بِهَا}؟ ومعناه دعاء عبادة ودعاء مسألة، على ذلك لا تكمل عبادتك لله إلا إذا علمت عنه الأسماء الحسنى لتعبده بها، قال الشيخ:

(وهذا يشملُ دعاءَ المسألة ودعاء العبادة.

فدعاءُ المسألةِ: أن تقدِّم بين يدي مطلوبك من أسماء الله تعالى ما يكونُ مناسبًا، مثل أن تقولَ :يا غفورُ اغفرلي، ويا رحيمُ ارحمني، ويا حفيظُ احفظني، ونَحْوُ ذلك.)

---

(١) الأعراف: ١٨٠.

فعلى هذا يكون من دعائك بأسماء الله أن تطلب الله بأسمائه، فإذا كان مرادك المغفرة فقل: (**يا غفورُ اغفر لي**) وإن كان مرادك العطاء فقل: يا معطي أعطني، وإذا كان مرادك الحفظ فقل: (**يا حفيظُ احفظني**) وهذا يسمّى: (دعاء مسألة.)

نأتي الآن إلى دعاء العبادة: {**وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا**} أي اعبدوه بها فقال:

(ودعاء العبادة: أن تتعبّد لله بمقتضى هذه الأسماء، فتقومَ بالتوبة إليه لأنه التواب)

فلأنك تعلم أن الله تواب وقع في قلبك أن تتعبد له بهذه العبادة.

قال: (**وتَذكُرَهُ بلسانك لأنه السّميع**)

فتُسمع نفسك ذكرك تتعبد له باسمه السميع وإذا ذكرت في قلبك تعبّدت له بوصفه أنه على كل شيء شهيد، وتعبّدت له بوصفه أنه المطّلع على كل شيء وعلى كل أحد، يقول الشيخ: (**وتتعبدَ له بجوارحك لأنّه البصير**)

فعندما تركع وتسجد تقول: يا ربّ أنت ترى مكاننا وتسمع كلامنا وتسمع ما في وجداننا، فهذا كله من دعاء العبادة وإذا قلت بلسانك أصبحت دعوته دعاء المسألة، فأنت تتعبّد له بجوارحك لأنه البصير فإذا أمطت الأذى عن الطريق فلأنك تعلم يقينًا أنه شكور، وإذا حسّنت نيّتك فلأنك تعلم يقينًا أنه عليم، فهذا معنى أن تدعوه دعاء عبادة بأسمائه سبحانه وتعالى.

قال: (**وتخشاه في السرِّ لأنه اللطيف الخبير، وهكذا.**

ومن أجلِ منزلتِهِ هذه، ومن أجلِ كلامِ النّاس فيه بالحقّ تارة وبالباطلِ النّاشئ عن الجهلِ أو التّعصبِ تارة أخرى؛ أحببتُ أن أكتبَ فيه ما تيسّر من القواعد، راجيًا

من الله تعالى أن يجعل عملي خالصًا لوجهه موافقًا لمرضاته نافعًا لعباده. وسمّيته: (القواعدَ المثلي في صفاتِ الله تعالى وأسمائِهِ الحسنى))

أما (نافعًا لعباده) فنحن نشهد، انظر ماذا طلب؟ أن يجعل عمله خالصًا لوجه الله، أن يكون موافقًا لسنة نبيّه، أن يكون نافعًا لعباده.

إذًا لماذا كتب الشيخ الكتاب؟ قال: (ومن أجلِ منزلتِهِ هذه) وهذه السبب الأول.

وقال: (ومن أجلِ كلامِ النّاس فيه بالحقِّ تارة وبالباطل الناشئِ عن الجهل أو التّعصب تارة أخرى) وهذا هو السبب الثاني.

وهذا الذي ذكرناه في مدخلنا في الكلام عن القواعد أن موضوع الأسماء والصفات مهم وأن الناس تكلموا فيه بالحق والباطل، فتميز الحق عن الباطل وطرد الباطل وشبهه مسؤولية يجب أن تكون نصب أعيننا.

[قواعدُ في أسماء الله تعالى]

الباب الأوّل

القاعدةُ الأولى: أسماءُ اللهِ تعالى كلُّها حسنى.

القاعدةُ الثّانية: أسماءُ اللهِ تعالى أعلام وأوصاف.

القاعدةُ الثّالثة: أسماءُ اللهِ تعالى إن دلّت على وصف متعدّ تضمّنت ثلاثة أمور، وإن دلّت على وصف غير متعدّ تضمّنت أمرين.

القاعدةُ الرّابعة: دلالة أسماءُ اللهِ تعالى على ذاته وصفاته تكون بالمطابقة، وبالتضمن، وبالالتزام.

القاعدةُ الخامسة: أسماءُ اللهِ تعالى توقيفيّة لا مجال للعقل فيها.

القاعدةُ السّادسة: أسماءُ اللهِ تعالى غير محصورة بعدد معين.

القاعدةُ السّابعة: الإلحاد في أسماء الله تعالى هو الميل بها عما يجب فيها.

نبدأ في القاعدةُ الأولى:

[القاعدةُ الأولى: أسماءُ اللهِ تعالى كلُّها حسنى]

(أي: بالغةٌ في الحسنِ غايتَه، قال الله تعالى: {وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى}، وذلكَ لأنها متضمّنة لصفاتٍ كاملةٍ لا نقصَ فيها بوجه من الوجوه، لا احتمالًا ولا تقديرًا.

مثال ذلك: (الحيُّ) اسم من أسماءِ اللهِ تعالى، مُتضمّنٌ للحياة الكاملة التي لم تُسْبَقْ بعدمٍ ولا يلحقُها زوالٌ. الحياةُ المُستلزِمةُ لكمال الصفات مِن: العلمِ والقدرةِ والسَّمع والبصرِ وغيرِها.

ومثالٌ آخر: (العليم) اسم من أسماء الله، متضمنٌ للعلم الكامل الذي لم يُسْبَقْ بجهل ولا يَلْحَقُه نسيان، قال الله تعالى: {عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لا يَضِلُّ رَبِّي وَلا يَنْسَى}[1]، العلمُ الواسعُ المحيطُ بكلِّ شيءٍ جملةً وتفصيلًا، سواء ما يتعلق بأفعاله أو أفعالِ خَلْقِه.

قال الله تعالى: {وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلاّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ إِلاّ فِي كِتَابٍ

(١) طه: ٥٢.

مُبِينٍ}[1]، {وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ}[2]، {يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ}[3] .

ومثالٌ ثالث: (الرّحمن) اسمٌ مِن أسماءِ الله تعالى، متضمنٌ للرّحمةِ الكاملةِ التي قال عنها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: (لَلّهُ أرحمُ بعبادهِ مِن هذه بولدها)[4] يعني: أمَّ صبي وَجدتْهُ في السَّبْي فأخذتْهُ وألصقتْهُ ببطنها وأرضعته. ومُتضمنٌ أيضًا للرَّحمة الواسعة التي قال الله عنها: {وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ}، وقال عن دعاء الملائكة للمؤمنين: {رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا}[5])

الآن سنناقش سبع قواعد في الأسماء، والقاعدةُ الأولى تقول: (أسماءُ اللهِ تعالى كلُّها حسنى) و(كلُّها) معناها: أنه لا يوجد اسم إلا وله هذا الوصف فلا تجد اسمًا من أسماء الله إلا ووصفه أنه من الأسماء الحسنى، ثم فصّل الشيخ معنى (حسنى) قال: (أي: بالغةٌ في الحسنِ غايتَه) والمعنى: أنه لا حُسن بعد حسنها، منتهى الحسن لها، ما الدليل؟ قال الشيخ: {وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى} اللام هنا لام الاستحقاق فهو المستحق للأسماء الحسنى.

يأتي سؤال بعد الدليل وهو: ما ضابط الأسماء الحسنى؟ ذُكر في ذلك ضوابط منها ما ذكره الشيخ السعدي -رحمه الله- في تفسير الآية قال: (وضابطه أنه كلّ اسم دالّ على صفة كمال عظيمة وبذلك كانت حسنى) يعني ما سبب حسنها؟ يقول الشيخ السعدي:

---

(١) الأنعام: ٥٩.

(٢) هود: ٦.

(٣) التغابن: ٤.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه (٥٩٩٩)، ومسلم (٢٧٥٤).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه (٥٩٩٩)، ومسلم (٢٧٥٤).

إنها متضمّنة لصفة كمال عظيمة، إذًا من هنا أتى وصفها بالحسن لأنها دالة على صفة كمال عظيمة.

هذا المعنى عبّر عنه الشيخ وكأنك تسأل: لماذا أسماء الله حسنى؟ فأتت العلّة فقال: (**وذلك لأنها متضمّنة لصفاتٍ كاملةٍ لا نقصَ فيها بوجهٍ من الوجوه، لا احتمالًا ولا تقديرًا**) إذًا أسماء الله -عزّ وجلّ- حسنى لأنها متضمّنة لصفاتٍ كاملةٍ لا نقصَ فيها بوجهٍ من الوجوه لا احتمالًا ولا تقديرًا.

بعدما قررنا أن الأسماء حسنى بالدليل، تقرر معنا أنها متضمّنة لصفات، والصفات كاملة، هذا التقرير الثاني تعليل، أي: تعليل أنها حسنى؛ أنها متضمّنة لصفاتٍ كاملةٍ. والتعليل بنفسه تقرير غاية في الأهمية، تعليل ماذا؟ تعليل كونها حسنى، وما تعليل كونها حسنى؟ أنها متضمّنة لصفاتٍ كاملةٍ، فأنت الآن قُرر لك:

- أنها حسنى.
- وأنها متضمّنة لصفات كاملة.

هذان تقريران كل اسم متضمن لصفة، ولأنه متضمن لصفة كاملة أصبحت الأسماء حسنى.

وإذا لم تكن متضمّنة لصفات كاملة، إذا لم تكن متضمّنة لصفات أصلًا مجرد أعلام، إذا كانت مجرد أعلام لا صفات فيها معناها أنها لا تدل على مدح لأنها ليست متضمّنة لصفات، فإذًا أسماء الله تعالى دالة على الصفات الكاملة وله من كل صفة أكملها وأعمّها وأجلّها.

نناقش جملة: (**لا نقصَ فيها بوجهٍ من الوجوه، لا احتمالًا ولا تقديرًا**)

الآن اتفقنا أن أسماء الله متضمّنة لصفات كاملة لا نقص فيها بوجه من الوجوه، لا احتمالًا ولا تقديرًا، أتى السؤال الآن: صفات الله -عزّ وجلّ- الكاملة ما وجه كمالها؟ لأنها لا نقص فيها بوجه من الوجوه لا احتمالًا ولا تقديرًا لا نقص فيها لا بالاحتمال اللفظي ولا بالتقدير الذهنيّ.

ما معنى هذا؟ سيتضح مراد المؤلف عندما نعلم أن أقسام الألفاظ أربعة:

١. ألفاظ تتضمن كمال محض في ذاته وموضوعه.

٢. ألفاظ تتضمن كمال في ذاته لا في موضوعه.

٣. ألفاظ تتضمن معاني محتمِلة فمرة تحتمل النقص ومرة تحتمل الكمال.

٤. ألفاظ تتضمن لصفات نقصٍ محضٍ.

فأصبحت الآن الألفاظ أربعة: كمال محض في ذاته وموضوعه، وكمال في ذاته لا في موضوعه، وألفاظ تحتمل أن تكون الصفات فيها نقصًا وكمالًا والرابع ما كان فيه نقص محض.

فمثال الأول من أسماء الله: العظيم، السميع، البصير، العليم.

مثال الثاني: المتكلّم، المريد، الفاعل. فمثل ذلك يطلق على الله خبرًا، ولا يُسمّى به لأنه من المؤكد أن المتكلّم في ذاته أحسن من الأخرس، المريد أحسن من العاجز لكن المتكلّم قد يتكلّم بخير وقد يتكلّم بشر، فموضوعه محتمل يعني هو في ذاته المتكلّم أحسن من الأخرس، المريد أحسن من العاجز الذي لا يريد، فهذه الألفاظ هي بنفسها

تدل على الكمال: المتكلّم، المريد، الفاعل، لكن تحتمل النقص في التقدير الذهنيّ فإذا قلت كلمة: (متكلّم) دون إضافتها إلى أحد قد تكون بالتقدير الذهنيّ كلمة (متكلّم) تدل على المدح وقد تدل على الذّم، يعني متكلّم بالحق، متكلّم بالباطل، فأي شيء فيه تقدير ذهنيّ لا يطلق على الله اسمًا لأن الاسم لا يحتمل أن يتضمن صفة فيها تقديرات لكن عندما تسمع (سميع) في ذاته مدح، تقول: قد يسمع ما يؤذي! نعم، هذا أتى من الخارج وليس من الذّات يعني المتكلّم قد يتكلّم بذاته كلامًا باطلًا، لكن السميع صفة كمال.

مثلًا في قوله تعالى في الحديث القدسيّ: (**يُؤْذِينِي ابنُ آدَمَ، يَسُبُّ الدّهر و أنا الدّهر، أُقَلِّبُ اللَّيْلَ والنَّهارَ.**)[1] مَن هنا صاحب الباطل؟ ابن آدم لأنه يسبّ الدّهر لكن الله له وصف الكمال بأنه: سميع، بصير، عظيم، عليم. كل هذه الأسماء تدلّ على كمال في ذاته وموضوعه، لكن المتكلّم والمريد والفاعل يمكن أن يُخبر بها عن الله، كأن أقول: إن الله -عزّ وجلّ- متكلّم وإنه -سبحانه- مريد وإنه فاعل. لكن لا تستطيع أن تناديه وتقول: يا متكلّم، يا مريد! لا يصح اسمًا لأنه بالتقدير الذهنيّ يحتمل النقص فهناك من يريد الخير وهناك من يريد الشر، في مقابل أنك تستطيع أن تقول: يا سميع، يا بصير، يا عليم لأنه متضح أنها صفة كمال إطلاقًا فهو عليم بكل شيء، بالنفوس الشريرة والنفوس الطيبة، بالأعمال الحسنة والأعمال السيئة، فهذا من كمال علمه لكن لا علاقة لك بالمعلومات نفسها، ألسنا نعلم الشر لنتقيه؟ فعلمك بالشر صفة كمال لأنه من المؤكد مرادك أن تتقيه.

أي: يصح أن أقول إطلاقًا عن الربّ أنه: عليم، سميع، بصير. لكن عندما آتي لصفة المتكلّم والمريد والفعال لابد أن أضيفها إلى الرب فأقول: الله -عزّ وجلّ- متكلّم، أُخبر عنه وأقول: فعال لما يريد سبحانه وتعالى.

هكذا فهمنا معنى قوله: (**ولا تقديرًا.**)

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٢٢٤٦).

إذًا النوع الثاني هذا المنفي: أن أسماء الله -عزّ وجلّ- متضمّنة لصفات كاملة، إذا كانت صفات كاملة إذًا ذهب القسم الرابع،(**لا نقصَ فيها بوجهٍ من الوجوه، لا احتمالًا ولا تقديرًا**) كلمة نفي التقدير أذهبت النوع الثاني لأن ما معنى كلمة (**ولا تقديرًا**)؟ معناها: أن هناك ألفاظ تدلّ على الكمال لكن النقص فيها يكون بالتقدير الذهنيّ.

نرى الآن النقطة الثالثة التي هي: الاحتمال، الآن هناك ألفاظ تحتمل نقص وكمال يعني تدل على النقص في حال وتدل على الكمال في حال أخرى، يعني اللفظ الواحد يحمل الوجهين في نفس المعنى مثل الخداع والاستهزاء فهذا لا يطلق على الله اسمًا وإن كنا سنرى كيف أنه يطلق عليه صفةً مقيدة.

إذًا أنت لا تجد في أسماء الله لا مخادع ولا مستهزئ ولا متكلّم ولا مريد:

- فالمخادع والمستهزئ ليسوا من أسماء الله لأن فيهم احتمال النقص.

- والمتكلّم والمريد فيهم تقدير النقص.

معنى احتمال النقص: أي أن اللفظ يدل على الكمال في حال ويدل على النقص في حال، يعني لا يصحّ أن أطلق عليه إطلاقًا (متكلّم أو مريد) ولا يصحّ أن أطلق عليه إطلاقًا (مخادع أو ماكر) لأن هذا نوع من النقص.

إذًا لماذا أسماء الله تعالى حسنى؟ أول سبب لأنها متضمّنة لصفات، وبما أنها متضمّنة لصفات فهي ليست أعلامًا محضة لأنك عندما ترى أسماء العباد أبلغ ما يقال فيها أنها (حسنة) لأنها أسماء فارغة من الصفات وإذا كانت فيها صفات ستكون هذه الصفات حسنة لكن ليس مطلقًا فيها الحسن.

علمت الآن أن أسماء الله حسنى لأنها متضمّنة لصفات كمال، وهذه الصفات لا نقص فيها بوجه من الوجوه لا احتمالًا ولا تقديرًا فأنت تعلم أن المتكلّم من قام به

الكلام، والكلام قد يكون حسنًا وقد يكون سيئًا، وكذلك الإرادة، فكونك تسميه بهذا الاسم معناه -سيأتينا في القاعدة التالية- : أن أسماء الله أعلام، أي: لا تحتاج أن تقول أي كلمة معها عندما تأتي بها، (عَلَمٌ) مثلما ترى علم الدولة لا تحتاج أن تكتب تحت العلم: دولة كذا! فأسماء الله تعالى إذا أطلقت اسمًا لا تحتاج إلى تعريف فنقول:

(السميع) فتعلم أننا نتكلّم عن ذات الله.

(البصير) تعلم أننا نتكلّم عن ذات الله.

فأسماء الله تعالى أعلام تطلق عليه بدون أي تقييد، لكن عندما آتي مثلًا وأقول: (متكلّم) لا يصحّ أن أقول: (متكلّم) فتفهم وينتقل ذهنك إلى الله، لا؛ لأن هذا يُقدر فيها النقص، إنما قد نقول: (إن الله متكلّم) فنُخبر عنه، فلابد أن نضيف إليه فعندما نضيف (متكلّم) إليه نعلم أنه لا يتكلّم إلا بالحق، مثل آية: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾[1] إذًا عندما تسمع أن الله تكلّم تعلم أنه لا يقول إلا الحق.

الآن نأتي إلى الأمثلة فقال: **(مثال ذلك: (الحيُّ) اسمٌ من أسماء الله تعالى، مُتضمّنٌ للحياةِ الكاملةِ)** يطبّق الآن الشيخ، أتى بالاسم وهو **(الحيُّ)** قال: **(مُتضمّنٌ للحياةِ الكاملةِ)** إذًا هذه صفة، حياته -سبحانه وتعالى- الكاملة **(التي لم تُسْبَقْ بعدمٍ ولا يلحقُها زوالٌ)** إذًا اسم (الحيّ) مُتضمّنٌ لصفة: الحياة، وقلنا إن الصفات كاملة وهو يصف الصفة الكاملة **(مُتضمّنٌ للحياةِ الكاملةِ)** ما وجه الكمال في الحياة؟ أنها لم تُسْبقْ بعدم ولا يلحقُها زوالٌ.

---

(١) سبأ: ٢٣.

أيضًا من كمالها: (**الحياةُ المسْتلزِمةُ لكمال الصفات مِنَ: العلمِ والقدرةِ والسَّمع والبصرِ وغيرِها**) المعنى: أن الحياة الناقصة تساوي صفات ناقصة، فالإنسان يولد طفلًا صفاته فيها نقص لا يسمع جيّدا، لا يفهم جيدًا، بصره ليس حادًا، ثم يصبح شابًا فتقوى قواه، ثم ينحدر للموت فتعود فتضعف قواه، فالحياة الناقصة هي التي سُبقت بعدم ويلحقها زوال، ولابد أن يكون صاحب هذه الصفات ناقص مثل حياته الناقصة، هو حياته ناقصة فتكون صفاته ناقصة، والشخص الذي يرى أن حياته ناقصة لابد أن يتصور أن صفاته ناقصة، عندما يعلم أن الله حياته كاملة لأن اسم (الحيُّ) يتضمّن صفة الحياة فعندما يعلم أن حياة الله كاملة سيظهر له يقينًا أن هذا يستلزم أن صفاته كاملة.

إذًا طبّق أولًا على مثال (الحيُّ)، ثم في مثال (الحيّ) توجد معلومتان تثبتان أنه اسم من أسماء الله، ثم تقول: هذا الاسم متضمّن لصفة الحياة التي وصفها أنها كاملة، اشرح لي الحياة الكاملة؟ ستقول: التي لم تُسبَق بعدمٍ ولا يلحقُها زوال. وأيضًا هناك معلومة مهمة: أن هذه الحياة الكاملة مستلْزِمة لكمال الصفات من العلم والقدرة والسَّمع والبصر وغيرها...انتهينا من المثل الأول.

نأتي الآن للمثل الثّاني قال: (**ومثالٌ آخر:** (**العليم**) **اسمٌ مِنْ أسماءِ الله**) أثبت أنه اسم، لابد أن تتصور إتقان المتن تقول: (الحيّ) اسم من أسماء الله متضمن لماذا؟ للحياة الكاملة، اشرح ما معنى الحياة الكاملة؟ التي لم يسْبِقها عدم ولا يلحقُها زوال، أيضًا الحياة الكاملة التي علمتها مستلزمةٌ لكمال الصفات.

هنا اسم (العليم) من أسماء الله، متضمن لماذا؟ نأتي الآن سنجد عدة صفات علمه -سبحانه وتعالى- موصوف بعدة صفات فقال: (**مُتضمنٌ للعلمِ الكاملِ**) لا تنسى لابد أن تكون الصفة كاملة، فكل مثلٍ لابد أن تأتي فيه كلمة (كاملة) الحياة <u>الكاملة</u>، العلم <u>الكامل</u>، ما هو العلم الكامل؟ (**الذي لم يُسْبَقْ بجهلٍ ولا يَلْحَقُه نسيان**).

واستشهد لذلك (قال الله تعالى: {عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لا يَضِلُّ رَبِّي وَلا يَنْسَى}[1]) هذا دليله، ولا تتصور يا طالب العلم أنك تستغني عن الدليل، هذا وجه ولا تتصور يا طالب العلم أنك ستعبّر عن معتقدك بكلامك، لا يُتصور ذلك أبدًا! يعني عندما أقول لك: إن أسماء الله حسنى لأنها متضمّنة لصفات كاملة، بيّن لي هذا على اسم العليم؟ ماذا تقول؟ تقول:

- العليم اسم من أسماء الله.

- هذا الاسم متضمنٌ لصفة العلم الكامل.

اشرح لي ما معنى العلم الكامل؟ ستقول: الذي لم يُسْبقْ بجهلٍ ولا يلْحقُه نسيان. استدل على هذا المعنى الذي أتيت به؟ ستقول: وأنا لي شاهد على ذلك آية طه التي وصف فيها موسى علم الله -عزّ وجلّ- عندما سأله فرعون عن ما مضى من الأمم قال: {عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لا يَضِلُّ رَبِّي وَلا يَنْسَى}.

يعني لم يُسْبقْ عِلمه بجهلٍ {وَلا يَنْسَى} أي: ولا يحلقه نسيان.

أيضًا من أوصاف علمه -سبحانه وتعالى- قال: (العلمُ الواسعُ المحيطُ) المحيطُ بماذا؟ (بكلّ شيءٍ جملةً وتفصيلًا، سواء ما يتعلق بأفعالِه أو أفعال خَلْقِهِ) إذًا اسم (العليم) يتضمّن صفة العلم الكامل الذي لم يُسبق بجهلٍ ولا يلْحقُه نسيان.

أيضًا الوصف الثاني من الكمال: (العلمُ الواسعُ المحيطُ بكلّ شيءٍ جملةً وتفصيلًا، سواء ما يتعلق بأفعالِه أو أفعال خَلْقِهِ) ثم تقول: ولي على ذلك شاهد، أمّا

---

(١) طه: ٥٢.

ما يشهد على أن علمه واسع محيط بكل شيء جملة وتفصيلًا فهذه آية الأنعام، يقول الله -عزّ وجلّ- فيها: {وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلاّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ}[(١)]

إذًا هذا كلام عن علمه الواسع المحيط جملة وتفصيلًا، نرى التفصيل الآن {وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ إِلاّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ} فاحتجت لآية الأنعام لتبين علم الله الواسع المحيط بكل شيء جملة وتفصيلًا ثم قال الشيخ: (سواء ما يتعلق بأفعالِه أو أفعال خَلْقِهِ.)

(قال تعالى: {وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ}[(٢)]) فهو صاحب الأرزاق وهو الذي يعلم كيف يرزق عباده الأرزاق.

أيضًا علمه واسع محيط بأفعال خلقه، قال: ({يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ}[(٣)]) فاحتجت إلى آية التغابن ليظهر لك علمه الواسع المحيط بأفعال خلقه.

إذًا ما وصف صفة العلم لله؟ ستقول:

- لم تُسبق بجهلٍ ولا يلْحقُها نسيان.

- وأن علمه -سبحانه وتعالى- واسع محيط بكل شيء جملة وتفصيلًا سواء ما يتعلق بأفعاله أو يتعلق بأفعال خلقه.

---

(١) الأنعام: ٥٩.

(٢) هود: ٦.

(٣) التغابن: ٤.

- ثم تُظهر هذا الفهَم من الآيات فتذكر آية الأنعام وهود والتغابن ولا يصلح في هذا المقام أن تعبر بشيء إلا ما اتفق عليه أهل السّنة والجماعة لفظًا ومعنى.

أتى بمثال ثالث فقال: (**ومثالٌ ثالث: (الرّحمن) اسمٌ مِنْ أسماءِ الله تعالى**) أثبتنا أنه اسم (**مُتَضمّنٌ للرَّحمةِ الكاملةِ**) اتفقنا أن أسماءه متضمّنة لصفات كاملة فكما أن حياته كاملة وعلمه كامل فرحمته كاملة (**التي قال عنها رسول الله -صلَّى الله عليه وسلَّم: (لله أرحمُ بعبادِهِ من هذه بولدها**) يعني: **أمَّ صَبِيّ وَجَدَتْهُ في السَّبْي فأخذتْهُ وألصقتْهُ ببطنها وأرضعته**) المعنى أن الله -عزّ وجلّ- رحمته كاملة.

وأيضًا صفة الرّحمة وصفت بوصف آخر، قال: (**ومُتضمّنٌ أيضًا للرَّحمة الواسعة، التي قال عنها: {وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ}**) فاسم (الرّحمن) يتضمّنٌ صفة الرّحمة الكاملة وأيضًا الرّحمة التي يوصف بها الله -عزّ وجلّ- رحمة كاملة ورحمة واسعة، ثم أتى بآية الأعراف وآية غافر اللتان تدلان على أن رحمة الله واسعة فقال: ({**وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ**}[1]، وقال عن دعاء الملائكة للمؤمنين: {**رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا**}[2]) هذه كلها أدلة تدل على سعة رحمة الله وأنه موصوف بصفات الكمال.

قال: (**والحُسنُ في أسماء الله تعالى يكونُ باعتبار كلِّ اسم على انفراده، ويكونُ باعتبار جمْعِهِ إلى غيرِهِ فيحصُلُ بجمع الاسم إلى الآخر كمالٌ فوق كمالٍ**.)

أتى الشيخ بأمثلة قال: (**مثال ذلك (العزيز الحكيم) فإن الله تعالى يجمع بينهما في القرآن كثيرًا فيكونُ كلٌّ منهما**) يعني اسم العزيز والحكيم (**دالًّا على الكمالِ الخاص الذي يقتضيه، وهو العزّة في العزيز، والحُكْم والحِكمة في الحكيم، والجمعُ بينهما دالٌّ على كمالٍ آخَرَ، وهو أنَّ عزَّته تعالى مقرونةٌ بالحكمة**) اقتران عزَّته بحكمتِهِ

---

(١) الأعراف: ١٥٦.

(٢) غافر: ٧.

(فعزَّتُه لا تقتضي ظلمًا وجورًا وسوءَ فعلٍ، كما قد يكونُ مِن أعزَّاءِ المخلوقين، فإن العزيزَ منهم قد تأخذه العزَّةُ بالإثمِ) يعني الذي له قد تأخذه العزة بالإثم (فيظلم ويجور ويسئ التصرف) وأيضًا من جهة الحكمة قال الشيخ: (وكذلك حُكْمُه تعالى وحكمته مقرونان بالعزِّ الكامل، بخلاف حُكْم المخلوق وحكمته) كم من حكيم يغلبه جاهل فلا يستطيع أن ينفع الناس بحكْمتِه لكن حِكْمة الله -عزّ وجلّ- مقرونة بعزَّتِه (فإنهما) بخلاف حكم المخلوق وحكمته (يعتريهما الذُّل) هذا المخلوق أما الله -عزّ وجلّ- فحِكْمته -سبحانه وتعالى- مقرونة بالعزِّ الكاملِ.

الآن أريد منكم أن تكتبوا التكاليف المطلوب مناقشتها لغدٍ وهناك تكليف الآن سنناقشه، التكليف الأول على القاعدة الأولى:

- وصف الله أسمائه بالحسنى في عدة مواضع في كتابه، المطلوب منك الإتيان بالمواطن مع كتابة تعليق الشيخ السعدي عليها.

- السؤال الثاني: ورد في سورة الشعراء اسمان تكررا ما هما الاسمان؟ كم مرة تكررا؟ ما معنى اقترانهما؟

- السؤال الثالث الذي سيكون موضوعنا الآن: ورد في أواخر سورة المائدة اسم العزيز الحكيم حكايةً عن عيسى -عليه السلام- تأمل في السياق ثم بيّن لماذا ختمت الآية بهذين الاسمين؟ لماذا ختم عيسى طلبه بهذين الاسمين؟ وإذا تيسر لكم الآن الإتيان بتفسير السعدي فأفضل وإذا لم يتيسر فافتح المصحف و ايتِ بأواخر المائدة و انظر لهذا السياق.

تبيّن لنا من خلال مراجعتنا للتفسير أن السياق قد يكون المتوقع فيه {إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}[1] قد نتصور ذلك لكن عندما كان المقصد أمر آخر ختمت الآيات باسمي (العزيز الحكيم) وكان المراد كما كتبتم أن مقصد عيسى أن يتقرب للربّ بكمال سلطانه فقال: {إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ} فهم يستحقون ما يقع عليهم.

{وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ} يقول الشيخ السعديّ: (فمغفرتك صادرة عن تمام عزَّة وقدرة، لا كمن يغفر ويعفو عن عجز وعدم قدرة)[2] والعزَّة هي: كمال القدرة لا عن عجز وجهل فقد يغفر الإنسان لعجزه فلا يستطيع فيغفر لعجزه، أو قد يغفر لجهله بعواقب الأمور.

قال الشيخ السعديّ: (الحكيم حيث كان من مقتضى حكمتك أن تغفر لمن أتى بأسباب المغفرة) فهو -سبحانه وتعالى- لا يغفر لكلّ أحد فهو حكيم، من أتى بأسباب المغفرة غفر له.

معنى ذلك {إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ} فإنهم يستحقون ما تفعل بهم {وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ} فهذه المغفرة التي صدرت منك يا ربّ صدرت من كمال عزّتك وكمال حكمتك لمن اخترت أن تغفر له.

فهذا من أمثلة الجمع بين أسماء الله وهو مناسب تسجيله على كتبكم لأن الشيخ اسم الله (العزيز الحكيم) فأنت تسجل في الكتاب هذا الموطن العجيب الذي يظهر فيه حسن اقتران اسم (العزيز) مع (الحكيم).

نبدأ بالقاعدة الثّانية:

---

(١) المائدة: ١١٨.

(٢) تفسير السعدي، سورة المائدة: ١١٨.

[القاعدة الثّانية: أسماءُ اللهِ تعالى أعلامٌ وأوصافٌ]

(أعلامٌ باعتبار دلالتها على الذّات، وأوصافٌ باعتبار ما دلَّت عليه مِن المعاني، وهي بالاعتبار الأوَّل مترادفةٌ لدلالتها على مسمّى واحد وهو الله عزَّوجلَّ.

وبالاعتبار الثَّاني متباينةٌ، لدلالة كلِّ واحدٍ منهما على معناه الخاص.

فـ (الحيُّ، العليمُ، القديرُ، السميعُ، البصيرُ، الرَّحمنُ، الرَّحيم، العزيزُ، الحكيمُ) كلُّها أسماءٌ لمسمى واحد وهو الله سبحانه وتعالى، لكن معنى الحيِّ غير معنى العليم، ومعنى العليم غير معنى القدير، وهكذا.

و إنما قلنا بأنها أعلامٌ وأوصاف؛ لدلالة القرآنِ عليها، كما في قوله تعالى: {وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيم}[1]، وقوله: {وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرّحمة}[2]، فإن الآية الثَّانية دلَّت على أن الرَّحيم هو المتَّصف بالرّحمة.

ولإجماعِ أهلِ اللغةِ والعرفِ أنَّه لا يقال: عليمٌ إلا لمَنْ عَلِمَ، ولا سميعٌ إلا لمن سَمِعَ، ولا بصيرٌ إلا لمَنْ بصر. وهذا أمرٌ أبْيَنُ مِنْ أنْ يحتاج إلى دليل)

قال: (أسماءُ اللهِ تعالى أعلامٌ وأوصافٌ) ماذا يقصد بـ(أعلامٌ)؟ (أعلام) جمع علم وهو: الذي يُعيَّن مسمَّاه مطلقًا من غير قرينة. وإذا نظرت إلى علم الدولة تعلم هذا المعنى جيدًا فهو لا يحتاج إلى قرينة لتعلم أن هذا العلم يدل على دولة معينة، فكذلك أسماء الله (أعلامٌ باعتبار دلالتها على الذّات) بمعنى أنك عندما تسمع (عليم)، (بصير) تَعْلم أن المتكلّم يتكلّم عن الله، وأحسن مثل يُضرب في هذا عندما تسمع: (الرّحمن)، عندما

---

(١) الأحقاف: ٨.

(٢) الكهف: ٥٨.

تسمع: (الصمد)، عندما تسمع: (الأول) و(الآخر) ؛ مباشرة تعلم أن المقصود: ذات الله عزَّ وجلَّ.

وأيضًا أسماء الله تعالى (**أوصافٌ**) بمعنى أنها تدل على صفة قائمة في الذّات، فالاسم له دلالة من حيث العَلَمية على الذّات ومن حيث الوَصْفيّة على النعت، قال: (**أعلامٌ باعتبار دلالتها على الذّات وأوصافٌ باعتبار ما دلّت عليه من المعاني**) إذًا كل الأسماء تدل على ذات واحد وهو الله عزَّ وجلَّ، هذا باعتبار أنها أعلامٌ.

(**وهي بالاعتبارِ الأوّل مترادفةٌ لدلالتها على مسمًّى واحد وهو الله عزَّ وجلَّ**) انظر لأسماء الله أنها جميعها مترادفة والترادف هو: الألفاظ الكثيرة لمعنى واحد مثل عندما تقول: (بشر) و(إنسان) هذا اسمه ترادف، كلمتان مختلفتان في حروفها لكن تدل على معنى واحد، فإذا نظرت إلى أسماء الله تعالى باعتبار أنها تدل على الذّات تصبح أسماء الله -عزّ وجلّ- مترادفة لأنها كلها تدل على ذات واحدة.

(**وبالاعتبارِ الثّاني متباينةٌ لدلالة كلِّ واحدٍ منهما على معناه الخاص**) ما معنى أن نُطلق على لفظان أنهما (متباينان)؟ معنى ذلك أن كل كلمة منهما تدل على معنى لا يتفق مع الكلمة الأخرى مثل عندما نقول: قمح وأرز. القمح غير الأرز فالتباين هو الاختلاف بيَّن الألفاظ باعتبار تعدد معناها، لماذا توجد ألفاظ مختلفة؟ لأن المعاني التي تدل عليها مختلفة.

أتى الشيخ الآن بالأمثلة التي تدل على فهم القاعدة فقال:

فـ(الحيُّ، العليمُ، القديرُ، السميعُ، البصيرُ، الرَّحمنُ، الرَّحيم، العزيزُ، الحكيمُ) كلُّها أسماءٌ لمسمى واحد وهو الله سبحانه وتعالى، لكن معنى الحيِّ غير معنى العليم، ومعنى العليم غير معنى القدير، وهكذا.

يقصد: الصفات.

أتى بعدها بالدليل الذي يدل على أن أسماء الله تعالى أعلام وأوصاف فقال:

(وإنما قلنا بأنها أعلامٌ وأوصافٌ لدلالة القرآنِ عليها) فأتى بآيتين: آية الأحقاف والكهف، فالآن ما هو الاسم؟ الرَّحيم فقال: (كما في قوله تعالى: {وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيم} وقوله: {وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرّحمة} فإنَّ الآيةَ الثَّانية دلَّت على أن الرَّحيم هو المتَّصف بالرّحمة) علمٌ يدل على ذات الله عندما يقال لك: (عليم) تعلم أنه الله، ثم أتت آية الكهف تبيَّن أن (الرَّحيم) هو: ذو الرّحمة، فإذًا من المؤكد أن أسماء الله تدل عليه وتتضمن صفة فذو الرّحمة، أي: صاحب الرّحمة.

إذًا (الرب) اسمه: (الرَّحيم) ووصفه: أنه ذو الرّحمة، الآيتان متطابقتان: {وَهُوَ الْغَفُورُ}، {وَرَبُّكَ الْغَفُورُ}.

{الرَّحيم}: هذا اسم، {ذُو الرّحمة}: وصف، فإذًا الرَّحيم هو ذو الرّحمة، الرَّحيم هو الله، الرَّحيم هو صاحب الرّحمة، فأنت تنظر لنفس الاسم بصورتين:

{الرَّحيم}: هو الله، عندما تدل على الذّات.

{الرَّحيم}: هو صاحب الرّحمة، فدلت على العلم وعلى الوصف.

إذًا اعلم أن أسماء الله أعلامٌ وأوصافٌ، وأسماء غير الله أعلامٌ فقط، ما عدا أسماء النبي -صلّى الله عليه وسلّم- وأسماء القرآن.

الآن نرى دلالة أخرى، قال:

(ولإجماعِ أهلِ اللغةِ والعرفِ أنَّه لا يقال: عليمٌ إلا لمَنْ عَلِمَ، ولا سميعٌ إلا لمن سَمِعَ، ولا بصيرٌ إلا لمَنْ بصر. وهذا أمرٌ أبْيَنُ مِنْ أنْ يحتاج إلى دليل)

أجمع أهل اللغة والعرف على أنه لا يوصف بالمشتق إلا من اتصف بمعناه، يعني ذو الرّحمة يعني صاحب الرّحمة، وهذه صفة لكن من الذي يُسمّى بالرَّحيم الذي هو المشتق من الرّحمة وهي على وزن فعيل، من الذي يوصف بالمشتق؟ من اتصف بمعناه يعني أن الذّات إذا لم تتصف بالمصدر فلا يصح الاشتقاق لها منه، مثال: الآن ضارب اسم فاعل. متى تقول على فلان (ضارب)؟ عندما يصدر هذا الفعل منه، إذًا ضارب من المشتقات وضارب لا يُسمّى ضاربًا إلا إذا فعل، ولا يقال لأحد إنه عليمٌ إلا إذا علِم، إذًا اتفق أهل اللغة والعرف على أنه لا يوصف بالمشتق إلا من اتصف بمعناه، إذًا القاعدة أُثبتت بدلالة القرآن وبإجماع أهل اللغة والعرف.

(وبهذا عُلم ضلالُ مَن سلبوا أسماءَ الله تعالى معانيها من أهل التعطيل، وقالوا: (إن الله تعالى سميعٌ بلا سمع، وبصيرٌ بلا بصر، وعزيزُ بلا عِزَّة) وهكذا. وعللوا ذلك بأنَّ ثبوتَ الصفات يستلزمُ تَعدُّدَ القدماءِ. وهذه العلَّةُ عليلةٌ -بل ميِّتةٌ- لدلالةِ السَّمع والعقلِ على بطلانها.

أمَّا السَّمع فلأنَّ اللهَ تعالى وصف نفسه بأوصاف كثيرة مع أنَّه الواحد الأحد، فقال تعالى: {إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ}(١) وقال تعالى: {سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى}(٢) ففي هذه الآيات الكريمة أوصافٌ كثيرةٌ لموصوفٍ واحدٍ، ولم يلزم من ثبوتها تعدُّدُ القدماء)

ابتدأ الشيخ بأمر غاية في الأهمية، أنت تقرر لك في القاعدة أن أسماء الله تعالى أعلامٌ وأوصافٌ تدل على ذاته وتدل على صفاته، المطلوب منك أن تعلم أن القاعدة الكلية كما تُعينك على فهم الحق وضبطه كذلك تعينك على نقض المخالفة.

سنرى الآن ما هي المخالفة التي حصلت، يقول الشيخ: (وبهذا) هذا اسم إشارة لما تقرر في القاعدة -أن أسماء الله أعلام وأوصاف- (عُلم ضلالُ مَن سلبوا أسماءَ الله تعالى معانيها) معناها: سلبوا أسماء الله الصفات الموجودة فيها، جعلوها أعلام مجردة (مِن أهلِ التَّعطيلِ) وأهل التَّعطيل بالذّات يُذكر منهم المعتزلة، أثبتوا الشق الأول من القاعدة وفرّغوا الاسم من معناه، و (التَّعطيلِ): لغة: التفريغ وهو إنكار ما يجب لله تعالى من الأسماء والصفات، والمعطِّلة: هؤلاء قوم أنكروا ما يجب لله تعالى من الأسماء والصفات أو أنكروا بعضها.

فهناك تعطيل كليٌّ كتعطيل الجهمية وتعطيل جزئيٌّ كتعطيل الأشاعرة فهم ينكرون بعض الصفات أو بالأصح يثبتون بعض الصفات يقولون (له الحياة والكلام والبصر سمع إرادة علمٌ واقتدر) فهم بهذا يجعلون صفات الله -عزّ وجلّ- محصورة في سبع صفات.

---

(١) البروج: ١٢-١٦.

(٢) الأعلى: ١-٥.

على كل حال المقصد الآن أن هؤلاء أهل التَّعطيل أنكروا ما يجب لله -عزّ وجلّ- من الأسماء والصفات أو أنكروا بعض الصفات (وقالوا: إن الله تعالى سميعٌ بلا سمع، وبصيرٌ بلا بصر، وعزيزٌ بلا عِزَّة، وهكذا) لماذا أنكرتم الصفات؟ أتوا بالعلّة التي وصفها الله أنها علّة عليلةٌ بل ميّتة، ما هي علّتهم؟ قالوا: (وعللوا ذلك بأنَّ ثبوتَ الصفات يستلزمُ تعدُّدَ القدماءِ) ثبوت الصفات يستلزم تعدد القدماء، و(القدماء) كلمة يستخدمها الفلاسفة وكما دخل علينا من أهل الشرق والغرب ويقصدون بها: الآلهة، دعواهم معناها: أنهم قالوا إذا أثبتنا أسماء الله وأن فيها صفات معنى ذلك أننا أثبتنا تعدد الآلهة، وفهمهم هذا مستوٍ مع فهم المشركين، الله -عزّ وجلّ- في الإسراء قال: {قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ}(١) ما سبب نزول هذه الآية؟ سبب نزولها أن كفار قريش سمعوا النبي -صلّى الله عليه وسلّم- يقول: يا الله يا رحمن. قالوا: يأمرنا أن ندعو إلهًا وندعو إلهين، فهموا أن الرّحمن إله والله إله! فعابوا على النبي -صلّى الله عليه وسلّم- أن يأمرهم بأن يدعو إلهًا واحدًا، لماذا عابوا عليه ذلك؟ لأنهم تصوروا أنه لمَّا طلب من الله بأسمائه المتعددة، فكأنه طلب غير الله، فهموا ذلك، فنفس الفهم الذي فهمه المشركين فهمه المعتزلة، وقالوا: نثبت لله أسماء لكن لا نثبت له صفات لأن تعدّد الصفات يعني تعدد الآلهة، لكن إذا قلنا إن له أسماء فقط فهذا من باب تعدّد الأسماء ولا بأس يعني يرون أن تعدّد الأسماء لا بأس به لكن المُشكل تعدّد الصفات! يعني كأنهم يقولون إنه قد يأتي رجل فيقال له: أبو كريم، أبو رحيم، تتعدّد أسماؤه لكن لا علاقة له بالصفات لكن إذا تعدّدت صفاته قالوا كأنه تعدّد القدماء.

ثم ذكر الدليل السَّمعي فقال:

(وهذه العلّة عليلة، بل ميّتة) وهذا لشدة وضوح انتقاضها قال: (لدلالة السَّمع والعقل على بطلانها).

---

(١) الإسراء: ١١٠.

(**أما السَّمع**) (السَّمع) المقصود الدليل السَّمعي الذي هو من الكتاب والسّنة (**فلأنَّ الله تعالى وصف نفسه بأوصافٍ كثيرة**) يعني أثبت لنفسه -سبحانه وتعالى- أوصافًا كثيرة ولا يلزم من ثبوتها ما قالوه، فهو الذي دعا إلى توحيده وهو الذي وصف نفسه بأنه متعدّد الصفات، ثم أتى بآية البروج وآية الأعلى فقال:

{إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ}: وصف نفسه بأن له بطش.

{إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ}: وصف نفسه بأنه يبدئ ويعيد.

{وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ} وصف نفسه أنه غفور ودود.

{ذُو الْعَرْشِ} صاحب العرش و {الْمَجِيدُ} قد تكون صفة للعرش أو صفة للرب.

{فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ} هذا وصف لله أيضًا.

ومثله في آية الأعلى: {الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى} هذه أوصاف متعددة لكن لم تدل على ما يقولون.

قال الشيخ: (**ففي هذه الآيات الكريمة أوصافٌ كثيرةٌ لموصوفٍ واحدٍ، ولم يلزم من ثبوتها تعدُّد القدماءِ**) ففهمنا من ذلك أن الأدلة من الكتاب والسّنة تدل على أن الله وصف نفسه بأوصاف متعددة لكن لم يثبت من ذلك تعدّد القدماء.

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

اللقاء الثاني

بسم الله الرّحمن الرَّحيم

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الحمد لله الذي يسّر لنا سبل الوصول إلى مرضاته، علّمنا عنه فسهّل لنا طرق التقوى العلمية ورغّبنا في جنته ورهبنا من ناره فحقّذ نفوسنا لتقواه عمليًا، فنسأله -سبحانه وتعالى- كما يسّر سبل التقوى العلمية والعملية أن يجعلنا ممن اتقاه حقيقة واتّبع أمره ظاهرًا وباطنًا، اللهم آمين.

لازلنا في شرح هذا الكتاب المبارك كتاب (**القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى**) وانتهينا من القاعدة الأولى التي نصها: (**أسماءُ اللهِ تعالى كلُّها حسنى.**)

ومعنى (**حسنى**) كما ذكر الشيخ: بالغة في الحسن غايته، ودليل ذلك قوله تعالى: {**وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا**} وسبب أنها حُسنى وليست حَسَنة: أن أسماء الله -عزّ وجلّ- متضمّنة لصفات كاملة، ووصف الشيخ هذه الصفات بأنها: لا نقص فيها بوجه من الوجوه لا احتمالًا ولا تقديرًا، وضرب الشيخ لهذا ثلاثة أمثلة: الحي، العليم، الرّحمن. وأظهر كمال الصفات التي تتضمّنها هذه الأسماء، ثم أضاف لنا أن الحُسْن في أسمائه -سبحانه وتعالى- يكون:

- باعتبار كل اسم على انفراده، وهذا ما مضى.
- ويكون باعتبار جمعه إلى غيره وذكر في ذلك مثال: (العزيز الحكيم)، وكنا طبقنا على أواخر المائدة لبيان هذا.

ثم اتفقنا أن نمر على المواطن -هذا كان تكليفًا- التي وصف الله أسماءه بالحسنى فيها، فكانت أربعة مواطن: في سورة الأعراف، في سورة الإسراء، في سورة طه، وفي سورة الحشر.

وطلبنا منكم نقل ما تيسر من كلام الشيخ السعدي في تفسير هذه الآيات.

وأيضًا طُلب منكم نقل آية في سورة الشعراء، ورد اسم العزيز الرَّحيم كم مرة؟ وما معناه؟

ورد (العزيز الرَّحيم) ٩ مرات، وكان يأتي بعد كل قصة من قصص الأنبياء التي ذُكرت في هذه السورة، والمقصد كما ذكر الشيخ السعدي في هذه الآية: أن ما حكم به -سبحانه وتعالى- لرسله وأتباعهم وما حكم به على أعدائهم، صادر عن عزَّة ورحمة، فوضع الرّحمة في محلها وانتقم من أعدائه بعزَّته ونجَّا رسله وأتباعهم برحمته.

إذًا إنجاؤه للرسل والأتباع حاصل من آثار اسميه العزيز الرَّحيم، وإهلاكه لأعدائه من آثار اسم (العزيز) فما حصل لأعدائه من هزيمة وما حصل لأوليائه من انتصار لم يكن أمرًا كما اتّفق من قبيل الصدفة إنما هو في الحقيقة أثر من آثار أسمائه سبحانه وتعالى.

انتهينا ممّا كُلّفنا به، ثم انتقلنا إلى **القاعدة الثانية: أسماءُ الله تعالى أعلامٌ وأوصافٌ**.

أعلامٌ باعتبار دلالتها على الذّات.

أوصافٌ باعتبار ما دلت عليه من المعاني.

والمقصود أنها بالاعتبار الأول: مترادفة وبالاعتبار الثاني: متباينة.

مترادفة: لدلالتها على مسمى واحد، كل الأسماء تعتبر مترادفة، متى؟ عندما نتكلم عن ذاته سبحانه وتعالى.

ثم كل الأسماء تعتبر متباينة مختلفة عندما نقصد نفس الصفة التي يتضمنها الاسم، فأسماء الله تعالى عندما تأتي في سياق وأقول: (الله، الحي، القيوم) أعلم أن هذه الأسماء كلها أتكلم فيها عن الله وأعلم أن اسم (الحيّ) غير اسم (القيوم) غير اسم (البصير) من جهة المعنى.

ما فائدة هذا التقرير؟ ومن أين لنا أن أسماء الله -عزّ وجلّ- أعلامٌ وأوصافٌ؟

فائدة تقرير أن أسماء الله تعالى أعلامٌ وأوصافٌ لبيان مخالفة أسماء الله تعالى لأسماء المخلوقين، فالمخلوقون أسماؤهم أعلام في مقابل أن أسماء الله -عزّ وجلّ- أعلامٌ وأوصافٌ وقد مرّ معك في القاعدة الأولى: أن أسماء الله حسنى لأنها متضمّنة لصفات كاملة، فهذه القاعدة الثانية مبنية على القاعدة الأولى، **الأولى: أسماءُ اللهِ تعالى كلُّها حسنى.**

فكأنه ذكر لك في القاعدة الأولى أنها حسنى لأنها متضمّنة لصفات كمال ثم الآن بيّن لك الأمر بيانًا واضحًا يقول لك: لابد أن تنظر لأسماء الله نظرتان: نظرة أن أسماء الله تعالى أعلامٌ ونظرة أنها أوصافٌ.

فإذا نظرت لها على أنها أعلام علم أن كل الأسماء تدل على مسمى واحد، وإذا نظرت على أنها أوصاف علمت أن هذه الأسماء مختلفة في مدلولاتها.

ما دليلي على أن أسماء الله أعلامٌ وأوصافٌ؟ كأني أقول: ما دليلي على أن الاسم عندما أُطلق دلّ على أنه صفة، تضمّن صفة؟

أخذ اسم (الرَّحيم) كمثال وقال: ورد في كتاب الله آيتين في الأحقاف وفي الكهف، في الأحقاف قال سبحانه وتعالى: {وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحيم}[1] في الكهف {وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرّحمة}[2].

فاستدل بهاتين الآيتين على أن اسم (الرَّحيم) عندما سُمِّيَ الله به فهو ليس مجرد علم يدل على ذات إنما هو يدل على صفة، ما هي الصفة؟ الصفة: الرّحمة والاسم: الرَّحيم، فعلمت من ذلك أن كل اسم لابد أن يدل على صفة.

إذًا معنى هذا أن كونك تعتقد أن الله -عزّ وجلّ- سُمّي بأسماء معناها أنك لابد أن تعتقد أنه موصوف بالصفات التي تتضمنها الأسماء، فإذا أخذنا مثلًا اسم:

(الرّحمن) يدل على الرّحمة، من أين علمت أنه يدل على الرّحمة؟ لأنك تعتقد يقينًا أن كل اسم يدل على صفة.

(السميع) يدل على السَّمع، ليس مجرد اسم، من أين لك هذا؟ لأنك تعتقد أن أسماء الله أعلامٌ وأوصافٌ بدليل أن الله سمّى نفسه (رحيم) ووصف نفسه بالرّحمة، فاسمه (رحيم) لأنه ذو رحمة.

يأتي الدليل الثاني على هذا الأمر قال:

(ولإجماعِ أهلِ اللغةِ والعرفِ أنَّه لا يقال: عليمٌ إلا لمَنْ عَلِمَ، ولا سميعٌ إلا لمن سَمِعَ) ما معنى هذا الأمر؟ معناه أنك عندما تعرض هذا الأمر على كلام العرب وعلى أهل المعرفة الذين يتعاملون مع العلم ستجد أنهم كلهم لا يسمون أحدًا اسم إلا وهم يعتقدون أنه صاحب الوصف ولا تتصور هذا الكلام معناه أن الأم عندما تسمي ابنها

---

(١) الأحقاف: ٨.

(٢) الكهف: ٥٨.

اسمًا، معناه أنه سيكون هذا وصفه! أنا لا أتكلم عن عامة الناس بل أقصد أهل اللغة والعرف وهم القوم الذين يتعاملون مع العلم.

فاتفقنا أن أهل اللغة والعرف أجمعوا على أنه لا يوصف بالمشتقّ إلا من اتصف بمعناه. يعني (سَمْع): هذا مصدر و(سَمِيع) مشتق، (عِلْم): مصدر (عَلِيم) مشتق، فلا يسمّى (سميع) وهو أصمّ ولا (بصير) وهو أعمى!

قال الشيخ -بعد أن بين القاعدة ودليلها- ردًا على من جاء مخالفًا لهذه القاعدة:

(وبهذا) (وبهذا) عطف على القاعدة **(وبهذا عُلم ضلالُ مَن سلبوا أسماءَ الله تعالى معانيها من أهل التعطيل، وقالوا: (إن الله تعالى سميعٌ بلا سمع، وبصيرٌ بلا بصر، وعزيزٌ بلا عِزَّة) وهكذا.)**

ما علّتهم؟ قال: **(وعللوا ذلك بأنَّ ثبوتَ الصفات يستلزمُ تَعدُّدَ القدماءِ. وهذه العلَّةُ عليلةٌ -بل ميِّتةٌ-** من شدة وضوح الرد عليها **لدلالةِ السَّمع والعقلِ على بطلانها)** وأتى بآيات من سورة البروج والأعلى دلّ فيها على أن الله -سبحانه وتعالى- وصف نفسه بأوصاف كثيرة مع أنه الواحد الأحد فلم يدل هذا على ما يدّعون من تعدد القدماء بل كتابه من أوله لأخره يدعو فيه إلى توحيده فلا يمكن أن يكون في كتابه ما يدل على تعدد الآلهة، نأتي الآن للدليل العقلي قال:

(وأما العقل :فلأنَّ الصفاتِ ليست ذواتًا بائنةً من الموصوف حتى يلزمَ من ثبوتها التعدُّدُ، وإنما هي من صفات مَن اتَّصف بها فهي قائمةٌ به)

معناه أنك عندما تضيف صفة لأحد تقول: سمع الإنسان، بصره، إرادته، علمه... إلى غيرها من الصفات التي تضاف للإنسان، هل يمكن لأحد أن يقول إن هذه ذوات أخرى غير ذاته؟ لا، إذا قلنا أنت يا شخص سمعك وبصرك وعلمك وحكمتك لذوات

أخرى! معناه أصبحت أنت أكثر من واحد! وهذا الأمر في حق البشر لا يقوله أحد ولا يقبله عقل.

هذه الصفات ما هي؟ قال: (وإنَّما هي مِن صفات مَن اتَّصف بها) يعني أنت ذات غير ذات -مثلًا- الجمل، والذّات لا يمكن أن توجد إلا ومعها صفاتها، فأنت عبارة عن ذات مختلفة وصفات مع هذه الذّات، ولا يمكن أن تتخيل ذاتًا بلا صفات، هل تتصور ذات بلا صفات؟! هات ذاتًا بلا صفات! إذا قلت: الهواء -مثلا- ذات لا صفات له. نقول: أخطأت؛ لأن من صفاته أنه لا يُرى بالعين المجردة ولا يُحس لكنه يملأ الفراغ، وإذا مارست أبسط المسائل فنظرة إلى أنابيب الماء مثلًا إذا امتلأت هواءً منعت حركة الماء أو فوّرت الماء، فإذًا هو موجود وله صفاته الخاصة.

إذا أتيت إلى الماء ستقول: لا لون له ولا رائحة ولا طعم ويأخذ شكل الإناء. فهذه هي الصفات فلا تتخيل شيئًا موجودًا ليس له صفات. إلا في العقل المجرد فتتخيل أن هناك شيئًا لا صفات له! لكن في الحقيقة إذا مارست أقل تفكير ستجد أن لا عاقل يقول إن هناك موجود لا صفات له.

(وإنَّما هي مِن صفات مَن اتَّصف بها فهي قائمةٌ به وكلُّ موجود فلا بد له من تعدُّدِ صفاتِهِ، ففيه صفُة الوجود، وكونُهُ واجبَ الوجود أو ممكنَ الوجود، وكونُهُ عينًا قائمًا بنفسهِ أووصفًا في غيره)

ثم تقدم الشيخ قليلًا في المثل وقال-الآن سيتكلم عن الله-: لو قلنا لكم: هل تثبتون أن الله موجود؟! من المؤكد يثبتون لأنهم إذا أنكروه انتهى النقاش، فيقولون: نعم، سنقول: لهم بما أنكم أثبتم أنه موجود إذًا لابد أن تتعدد صفاته التي تدور حول الوجود.

مثلًا قال لهم: ستكون في الموجود صفة الوجود. ولاحظوا أن الشيخ يتعامل معهم بلغتهم فهم عندهم كلمة (واجب الوجود) و(ممكن الوجود) سأفسر لكم أولًا ما معنى (واجب الوجود) و(ممكن الوجود) ثم نكمل المثل:

- (واجب الوجود): هو الذي لا يُتصور في العقل عدمه.
- و(ممكن الوجود): هو الذي يتصور في العقل عدمه.

الأول لا يتصور والثاني يتصور، الفرق في النفي والإثبات.

الآن قبل الوصول في الكلام عن الله في واجب الوجود وممكن الوجود نذكر مثالًا أسهل:

إذا طُرق الباب ما هو الشيء واجب الوجود هنا؟ وجود الطارق.

الطرق ممكن أو غير ممكن، بابك موجود وأنت موجودة فقد يُطرق وقد لا يُطرق لكن إذا طُرق الباب فلابد من وجود طارق.

إذًا (طرق الباب) ممكن الوجود، و(وجود طارق له) هذا واجب الوجود في هذه الحالة لكن ليس إطلاقًا.

فأنا إذا أردت الكلام عن واجب الوجود إطلاقًا سأقول: لا يوجد واجب الوجود إطلاقًا إلا الله وكل شيء آخر ممكن الوجود.

كلمة (واجب الوجود) و(ممكن الوجود) من الفلسفة لكن نحن مضطرون لها الآن لنرد على المخالفين من منطقهم، فـ (ممكن الوجود) و(واجب الوجود) هذه تأتي على مراحل، في موقف طُرق بابك، سيأتي على هذا الموقف شيء واجب لابد أن يكون

موجودًا، فواجب الوجود أن يكون الطارق شيء سواء إنسان أو حيوان -ذات- أو حتى الجن قد يكونون طارقين لا بأس، هذا واجب الوجود في هذه الحال فقط.

الآن إذا رأيت الإضاءة، الإضاءة ممكنة، ممكن أن تفتح أو ممكن أن تقفل النور لكن بما أنه يوجد إضاءة؛ فهذه ممكنة الوجود، والواجب الوجود هو أن يكون ورائها كهرباء، هذه ممكن الوجود وواجب الوجود على أضيق ما يكون لكن لكن إذا أردت القول (واجب الوجود إطلاقًا) فكل المخلوقات ممكنة الوجود، ممكن أن يكون هناك هذا النوع من الحيوانات وقد لا يكون، وهذا النوع من الناس وقد لا يكون، هذا النوع من النباتات وقد لا يكون، لكن بما أن كل هذه المخلوقات موجودة ولو واحد منها فلابد أن يكون واجب الوجود هو: الله -عزّ وجلّ- خالقها.

وهذا تفسير كلمة (عالم) يعني كل العالم ممكن الوجود لكن كل العالم دلالة وعلامة على وجود الله، هذا معنى كلمة واجب الوجود أو جائز الوجود أو ممكن الوجود.

واجب الوجود أو جائز الوجود أو ممكن الوجود هذه كلمات لابد أن تنتبهوا أن المقصود منها فقط معاملة المخالفين والتّنزل معهم وإلا فهذه الألفاظ ليست من طريقة أهل السّنة بل هي من عبارات الفلاسفة **ولا نستخدمها** إلا في الرد، فإثبات أن الله موجود فهذه صفة، وكونه واجب الوجود فهذا وصف للصفة.

نعيد النقاش فنقول: هل تثبتون أن الله موجود؟ يقولون: نعم، نقول لهم: كل موجود لابد أن تتعدَّد صفاته فمثلا الموجود فيه صفة الوجود، وصفة الوجود قد تكون ممكنة الوجود أو واجبة الوجود، فإذا تكلمت عن الله علمت أنه موجود وأن صفة وجوده واجب الوجود، هذه صفة ثانية.

وأيّ موجود قد يكون وجوده عين قائمة بنفسه أو يكون صفة في غيره يعني الإنسان مثلا هذا عين قائمة بنفسه، سمعه، بصره، علمه. كل هذه صفات قائمة يعني السَّمع

فأنت لا ترى سمعًا يمشي في الأرض ولا ترى بصرًا ولا حتى ترى روحًا تمشي في الأرض إنما هذه كلها صفات تكون في الذّات، فأي شيء موجود إما أن يكون عينٌ قائم بنفسه أو وصفًا في غيره.

إذًا لابد أن يتصف بهذه الصفات الوجودية:

- كونه واجب الوجود أو ممكن الوجود.
- كونه قائم بنفسه أو وصف لغيره.

وهذا أمر لا يمكن إنكاره، فعُلم من ذلك أن الله -عزّ وجلّ- لابد أن يكون له صفات وأن تعدّد الصفات أمر لا يمكن أن يدل على ما قالوا.

إذًا سنسأل المعطّلة: هل تثبتون أن الله موجود؟ ثم نقول لهم: أي شيء موجود يحمل صفات منها صفة الوجود وكونه واجب الوجود أو ممكن الوجود، وكونه عينًا قائمًا بنفسه أو صفة لغيره. إذًا أنتم بأنفسكم تثبتون تعدّد الصفات إذا قلتم إن الله موجود، إذًا لا يمكن أن يخلو موجود من تعدّد الصفات.

انتهينا الآن من أول استخدام لهذه القاعدة في الرد على المعطّلة، الآن نستخدم هذه القاعدة لمقصد آخر، يعني هذه القواعد سبب لتمييزك بين ما هو من أسماء الله الحسنى وما هو ليس بذلك قال الشيخ:

(**وبهذا**) هذه قاعدة مبنية على فهمك للقاعدة (**وبهذا أيضًا عُلم أنَّ (الدّهر) ليس مِن أسماء الله تعالى**) سيأتي السؤال: لماذا الدّهر ليس من أسماء الله تعالى؟ السبب الأول: (**لأنّه اسمٌ جامدٌ لا يتضمّنُ معنى يُلْحِقُه بالأسماءِ الحسنى**) الآن ستجمع القاعدة الأولى بالثانية أنت تعلم أن أسماء الله تعالى لابد أن تكون مشتقة لأن كلمة (جامد) يقابلها كلمة (مشتق) -في اللغة- فإذا أتيت مثلًا للسميع ستقول: مشتق من

السَّمع، بصير: مُشتق من البصر، عليم: مُشتق من العلم، الدّهر: ليس مشتق من مصدر، الاسم هو المشتق سميع مشتق من مصدر وهو: السَّمع. لكن (الدّهر) اسم جامد لم يشتق من شيء فإذا لم يشتق من شيء معناه لا يوجد فيه وصف، إذًا هو اسم جامد لا يتضمن معنى يُلحقه بالأسماء الحسنى لأن الأسماء الحسنى كلها تتضمن صفات ومشتقة من مصادر بل هو (اسمٌ للوقتِ والزّمنِ) إذًا هو اسم جامد غير مشتق وهو اسم للوقت والزمان.

أيضًا الشيخ ذكر سببًا ثالثًا أو استدلال ثالثًا لطيفًا فقال: (قال الله تعالى عن مُنكري البعث: {وَقَالُوا مَا هِيَ إِلاّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلّا الدّهر} يريدون: مرورَ الليالي والأيام) فأنت الآن انظر إذا كان الدّهر اسم من أسماء الله هل سيكون قولهم حق أم باطل؟ لو قولهم حق سيكون معنى الآية: أن المنكرين للمعاد يقولون: ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا **الله!** فإذا كان الدّهر اسم من أسماء الله فكأنك تأخذ لفظ الدّهر وتضع بدلًا عنها لفظ الجلالة، هل هم يريدون إلا الله؟ قال الشيخ: (يريدون: مرورَ الليالي والأيام) إذًا الدّهر ليس اسمًا من أسماء الله ويكفيك في هذا آية الجاثية.

وذكر الشيخ ثلاثة أسباب مبنية على القاعدة واستعمال الدليل أيضًا:

- السبب الأول: أنه اسم جامد لا يتضمن معنى يُلحقه بالأسماء الحسنى واتفقنا أن أسماء الله متضمّنة لصفات.

- السبب الثاني: أنه اسم للوقت والزمان، وكونه اسم للوقت والزمان فهذا لا يدل على حُسن، واستدل بالآية الثالثة على أنه اسم للوقت والزمان، والآية أيضًا فيها دليل من جهة أخرى أنك تنظر إليها فترى أنه إذا كان الدّهر اسم من أسماء الله لكان معنى كلامهم (لا يهلكنا إلا الله) والمعنى ليس كذلك لأن الآية وردت في سياق

الذمّ لهم، وأنهم ينكرون أن الله تعالى هو الذي يميتهم ويدّعون أن سبب موتهم مرور الأيام والليالي، فإذا كان الدّهر اسم من أسماء الله لما كان سائغًا أن ينكر الله عليهم قولهم.

نأتي بعد ذلك للرد على من استدل بالحديث على أن (الدّهر) اسم من أسماء الله، وهذا قال به الظاهرية منهم ابن حزم قال: (إن الدّهر اسم من أسماء الله) وابن حزم -سبحان الله- في قوته وذكائه وفهمه وفطنته أوتي عجبًا لكنه استعمل الظاهرية في الأدلة الفقهية واستعمل الدلالات في العقيدة! يعني في الفقه أخذ الأدلة على ظاهرها وعندما أتى للعقيدة لم يأخذ الأدلة على ظاهرها بل كثير من الأدلة أوَّل فيها ونقلها عن ظاهرها، وإن كان في هذا الدليل استعمل الظاهر قال: (يُؤْذِينِي ابنُ آدَمَ، يَسُبُّ الدّهر وأنا الدّهر، أُقَلِّبُ اللَّيْلَ والنَّهارَ.) فقال: إن الدّهر من أسماء الله.

لابد أن تقرؤوا عن ابن حزم من أجل أن تتصوروا كيف يمكن الانتفاع من تفكيره من جهة ومن جهة أخرى الحذر من الانزلاق. لكن لا يعني هذا أن تعتقدوا أن له مقاصد باطلة ففرق بين أن ينحرف شخص لمقاصد خاطئة في قلبه، وبين أن يخطئ مع سلامة مقصده.

نرى الآن قال الشيخ:

(فأمَّا قوله صلَّى الله عليه وسلَّم: قال الله عزَّوجلَّ: يُؤْذِينِي ابنُ آدَمَ، يَسُبُّ الدّهر وأنا الدّهر، أُقَلِّبُ اللَّيْلَ والنَّهارَ.) الذي غرّ الظاهرية قول الله -عزّ وجلّ- في الحديث القدسي (وأنا الدّهر) هذا الذي غرّهم، فتصور من معنى الإضافة هنا أن اسمه الدّهر!

لكن مَن تأمل الحديث تبيّن له أن هذا ليس هو المراد لأن الله بيّن ذلك فقال: (**وأنا الدّهر، بيَدِي الأمْرُ، أُقَلِّبُ اللَّيْلَ والنَّهارَ.**)[1]

الآن أولًا سنناقش أقسام ما يضيفه الله لنفسه ثم سنذكر رواية أخرى للحديث ثم سنذكر كلام الحافظ ابن حجر في تأويل قوله: (**وأنا الدّهر**.)

نبدأ أولًا بأنواع الإضافة، أقسام ما يضيفه الله إلى نفسه:

١. أن يكون المضاف ذاتًا منفصلة عن الله تعالى.

٢. أو يكون صفة في تلك الذّات المنفصلة.

الآن إذا أُضيف شيء إلى الله وكان ذاتًا منفصلة أو صفة في تلك الذّات المنفصلة ماذا سيكون المضاف؟ سيكون مخلوقًا، فهذا مخلوق وليس من صفات الله، والمقصود من الإضافة أحد أمرين:

- إما إضافة مخلوق إلى خالقه.

- أو إضافة للتشريف.

أي أن المقصود من هذا النوع من الإضافة: إضافة مخلوق إلى خالقه أو إضافة تشريف. فأنت الآن إذا سمعت: بيت الله، عباد الله. ستعلم أن هذه ذوات منفصلة عن الله؛ ستعرف أنها مضافة إلى الله مثلًا (عباد الرّحمن) من باب التشريف، (عباد الله) هذه من باب إضافة المخلوق إلى خالقه، وعندما يأتي في آية مثل آية الفرقان: {**وَعِبَادُ الرّحمنِ**} تعرف أنها إضافة تشريف.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٧٤٩١)، ومسلم (٢٢٤٦).

الآن ما يهمنا أن تفهموا أن هذا من باب إضافة المخلوق إلى خالقه وهي ذوات منفصلة، ناقة الله، بيت الله، عباد الله...عندما يتكلّم عن كل الخلق سيكون من جهة إضافة مخلوق إلى خالقه.

المهم الآن لا تفكروا هل هذه إضافة تشريف أم إضافة مخلوق لخالقه لكن المقصد هنا أن تفهموا أنه إذا أُضيفت ذات منفصلة عن الله؛ فستكون هذه إضافة مخلوق وليست صفة من صفاته، سواء كان المضاف إلى الله ذات منفصلة أو صفة في الذّات إذا أردت ضرب مثالًا على (الصفة في الذّات) نأتي بالحديث الذي سبقت دراسته في التوحيد لتتصوروا معنى إضافة صفة للمخلوق، قال رسول الله: **(مَن شَهِدَ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ له، وَأنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأنَّ عِيسَى عبدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إلى مَرْيَمَ وَرُوحٌ منه)**[1]

عيسى مخلوق، من هو الذي (**روحٌ منه**)؟ روح عيسى، فنحن نقول الآن: (أن يكون المضاف ذاتًا منفصلة عن الله أو صفة في تلك الذّات.) فعيسى ذات منفصلة (**وَرُوحٌ منه**) أي أن روح عيسى مخلوقة وروح عيسى منه -من الله- احذف الضمير وضع لفظ الجلالة فكأنك المطلوب منك أن تؤمن: بأن عيسى عبد الله ورسوله وروح من الله. فتفهم أن (روح) هذه وصف لعيسى عندما أضيفت إلى الله وهي وصف في ذات منفصلة عن الله علمت أن هذه مخلوقة وروح من الأرواح التي خلقها الله.

فماذا تجد؟ تجد أنها ليست صفة لله أي أن (مِن) هنا ليست للتبعيض. فالحمد لله الذي علّمنا لأنه عندما يسمع هذا الكلام جاهل (**وروح منه**) لا يعلم ماذا يجب أن يعتقد فنحن نحمده -سبحانه وتعالى- وحده المنان الذي سخّر لنا عباده الصالحين يعلمونا فكلما ذكرنا أن الله يسّر للشيخ محمد -رحمه الله- شرح مثل هذه المسائل وتبسيطها وتسهيلها، ثم اليوم تجد في موقعه -رحمه الله- هذه التسجيلات له وترى خلقًا عظيمًا

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٣٤٣٥).

من كل أرض يسمعون له؛ تعلم أن فضل الله يؤتيه من يشاء، فنسأله -سبحانه وتعالى- أن يغفر لشيخنا ويرحمه رحمة واسعة وأن يجعل ما أجراه على يده من علم لنا ولغيرنا في ميزان حسناته وسببًا لإنارة قبره اللهم آمين.

إذًا، الأمر الأول: هذه الإضافة، هي إضافة ذات منفصلة عن الله، فإذا أضيفت ذات منفصلة عن الله أو صفة في تلك الذّات؛ فهذا مخلوق.

الأمر الثاني: أن يكون المضاف صفة لا تقوم إلا بموصوف مثل: سمع، بصر، علم. هذه صفة، والصفة هذه لا تقوم إلا بموصوف فهذا لابد أن تتصور أنه غير مخلوق مثل عندما نقول: قدرة الله، عزَّة الله، حكمة الله، فهذه كلها صفات لله.

الآن انظر إلى الدّهر بعدما فهمنا هذين الاثنين، هل الدّهر مخلوق؟ الدّهر ما هو؟ اسم للزمان، ماذا أراد منكري البعث عندما قالوا: {**وَمَا يُهْلِكُنَا إِلّا الدّهر**}؟ مرور الليالي والأيام، فأصبح الدّهر: الليالي والأيام، الليالي والأيام أليست مخلوقات؟ حركة الشمس والأرض إلى آخره ألا تعلمون أن الليل والنهار مخلوقان؟ بلى، فإذًا و(**أنا الدّهر**) معنى الدّهر: كلمة تدل على مخلوق لأن الدّهر اسم للوقت والزمان فهو مخلوق، فعندما قال الله -عزّ وجلّ- : (**أنا الدّهر**) فأضاف الدّهر إلى نفسه أصبح من باب إضافة المخلوق إلى خالقه.

فهذا أولًا أن هذا من باب إضافة المخلوق إلى خالقه، قال الشيخ:

(**فلا يدلُّ على أنَّ الدّهر من أسماء الله تعالى، وذلك أنَّ الذين يسبّون الدّهر إنَّما يريدون الزَّمان الذي هو محلُّ الحوادث**) الزمان أي المخلوق (**لا يريدون الله تعالى**) إذًا هم يفهمون أنهم يتكلّمون عن الزمن فيكون معنى (**و أنا الدّهر**) ما فسره بقوله: (**بيدي الأمر أقلب الليل والنهار.**)

سنرى أيضًا لفظة أخرى للحديث تبيّن الأمر جليًا يقول الله -عزّ وجلّ- في الحديث القدسي: (لَا تَسُبُّوا الدَّهْرَ، فَإِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ: أَنَا الدَّهْرُ، الْأَيَّامُ وَاللَّيَالِي لِي، أُجَدِّدُهَا وَأُبْلِيهَا، وَآتِي بِمُلُوكٍ بَعْدَ مُلُوكٍ)[١] الله -عزّ وجلّ- يقول: وأنا الدّهر لي الليل والنهار أجدده وأبليه. فتبيّن أن الدّهر الذي هو الليل والنهار خَلْق له -سبحانه وتعالى- وأنه -سبحانه وتعالى- يجدّده ويُبليه فامتنع أن يكون الإله، وهذه الرواية الثانية تبين الأمر جليًّا.

نعود للرواية الأولى ونرى كيف ناقشها الشيخ: (فيكون معنى قوله: (وأنا الدّهر) ما فسره بقوله: (بيدي الأمر أقلّب الليل والنهار)، فهو سبحانه خالقُ الدّهر وما فيه، وقد بيّن أنه يُقَلِّب الليل والنهار وهما الدّهر، ولا يمكن أن يكون المقلِّب (بكسر اللام) هو المقلَّب (بفتحها) -لا يمكن أن يكون الفاعل هو المفعول به- وبهذا تبيّن أنه يمتنع أن يكون الدّهر في هذا الحديث مرادًا به الله تعالى)

يبقى أن ننقل كلام الحافظ ابن حجر في الفتح في تأويل و(أنا الدّهر)، قال الحافظ ابن حجر:

- (ومحصّل ما قيل في تأويله ثلاثة أوجه: أحدها أن المراد بقوله (إن الله هو الدّهر) أي المدبر للأمور)

والظاهر أن هذا المعنى هو اختيار الشيخ.

- (ثانيها: أنه على حذف مضاف أي: صاحب الدّهر)

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (١٠٤٣٨)، وحسّنه الألباني.

ما معنى أن الجملة على(حذف مضاف)؟ أي أن كلمة (صاحب الدّهر) مضافة إلى الدّهر فيقول ابن حجر: بحذف المضاف يعني وأنا الدّهر: أنا صاحب الدّهر

- **(ثالثها: التقدير مقلب الدّهر ولذلك عقّبه بقوله: بيدي الليل والنهار)**

أي أن يقدّر جملة و(**أنا مقلب الدّهر**) ولذلك عقّبه بقوله: بيدي الليل والنهار وفي الرواية الثانية: (**أَنَا الدَّهْرُلِيَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ**)(١) وفي رواية ثالثة: (**بِيَدِيَ اللَّيْلُ والنَّهارُ**)(٢)

على كل حال المعنى متقارب والظاهر أن الشيخ جمع بين الأقوال واستخدم كلمة (مدبر للأمور) وأنه (مقلب الدّهر)، المهم هنا أن تعلم:

كيف استخدمنا هذه القاعدة لبيان أن الدّهر ليس اسمًا من أسماء الله.

أن كلام ابن حجر ملخصه: أن هناك محذوف فقدّر هذا المحذوف.

سنعود إلى قاعدة الثانية نراجعها سريعًا، قال: **القاعدةُ الثّانية: أسماءُ اللهِ تعالى أعلامٌ وأوصافٌ.**

(أعلامٌ) باعتبار دلالتها على الذّات، و(أوصافٌ) باعتبار ما دلت عليه من المعاني، وهي بالاعتبار الأول: مترادفة لدلالتها على مسمى واحد وهو الله عزّ وجلّ.

وبالاعتبار الثاني متباينة، لدلالة كل واحد منهما على معناه الخاص.

سؤال من الطالبات عن ابن حزم وعن معتقده؟

---

(١) معجم الأعرابي، الجزء الأول، صـ٥٧.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (٢٢٤٦).

جواب الأستاذة -حفظها الله-: في هذا أرجو مراجعة كلام أهل العلم، لذلك ذكرت كلام ابن حزم من أجل مراجعة كلام أهل العلم حوله وحول معتقده فهو رُزق ذكاءً مفرطًا وذهنًا سيّالًا، فأصبح ماهرًا في الأدب والشعر والمنطق وتعمق في فقه الشافعية ثم نفى القياس! من هنا أتت المشكلة، وكان أجمع أهل الأندلس للعلوم، حافظًا للحديث وفقيهًا، ثم هو انتصر لمذهب أبو داود الظاهري لذلك لقبّ بابن حزم الظاهري.

على كل حال أنتم اقرؤوا عنه ستجدوا أخطاء في مسائل الأسماء والصفات وفي مسائل الإيمان نتيجة عدم قناعته بظواهر النصوص مع أنه كما ذكرنا اعتمد على ظواهر النصوص في الفقه لذلك دائمًا يقال عنه: يا ليته عكس! والله يغفر للجميع.

سؤال: هل يمكن حذف الدليل العقلي عند الشرح للعوام؟

جواب الأستاذة -حفظها الله-: اتفقنا أن كتاب القواعد المثلى لا يُشرح للعوام ولا الرد على المعتزلة يخاطب به العوام.

ننتقل إلى القاعدة الثالثة:

[**القاعدةُ الثالثةُ:** أسماءُ الله تعالى إنْ دلَّت على وصفٍ متعدٍّ تضمّنت ثلاثةَ أمور:

أحدها: ثبوت ذلك الاسم لله عزَّوجلَّ.

الثاني: ثبوت الصفةِ التي تضمّنها لله عزَّوجلَّ.

الثالث: ثبوت حكمِها ومقتضاها.]

هذا إذا كان الاسم يدل على وصف متعدٍ، وإن دلت على وصف غير متعدٍ تضمَّنت أمرين:

- أحدهما: ثبوت الاسم.

- والثاني: ثبوت الصفة التي يتضمّنها الاسم لله عزَّ وجلَّ.

الآن نبدأ في نقاش معنى كلمة (متعدٍ وغير متعدٍ):

(وصف متعدٍ) أي: يصل أثره للمخلوقين مثل: خلقه الله، رزقه الله، أغناه الله، أحياه الله، هذه كلها لها علاقة مباشرة بالمخلوقين.

أما (الوصف الغير متعدي): فهو وصف في الله لكن لا يتجاوز إلى المفعول به، بل يبقى في نفس فاعله.

نبدأ بشرح القاعدة: الآن هذه القاعدة مترتبة على القاعدة السابقة فأنت علمت مما مضى أن أسماء الله حسنى وأنها أعلام وأوصاف فهي ليست مجرد ألفاظًا لا معنى لها بل تدل على أوصاف الكمال، فإذا دلت على أوصاف الكمال لابد أن تتصور كيف يجب الإيمان بها والله -عزّ وجلّ- علّل كثيرًا من أقواله وأفعاله بأسمائه وصفاته ولو لم يكن لها معنى لما كان التعليل صحيح فأنت الآن ستفرق:

هناك أسماء يتجاوز أثرها إلى المخلوق، أي أن هذا الاسم له تعلق بالمخلوق.

وهناك أسماء لا يتجاوز أثرها إلى المخلوق.

مثلًا قول الله تعالى {وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ}(١) تثبت أن (السميع) اسمًا والسَّمع صفة. ثم تريد أن ترى هل هو متعدٍ أو غير متعدٍ لأنه إذا كان متعديًا فلابد أن تؤمن بالحكم والمقتضى، وإذا كان غير متعدٍ؛ فالمطلوب منك أن تثبت الاسم والصفة، يعني

---

(١) الشورى: ١١.

الآن المتعدي وغير المتعدي يشتركان في إثبات الاسم وإثبات الصفة التي يتضمّنها الاسم، المتعدي يزيد في ثبوت الحكم والمقتضى-الأثر-.

أنا عندي اسم (السميع) الآن أَثْبت الاسم لله وأَثْبت الصفة، بقي هل أُثْبت الحكم والمقتضى أو لا أثبت؟ هذا يعتمد على أن تعلم إذا كان متعديًا أو غير متعدٍ، سأذكر لك طريقة سهلة للوصول إلى معرفة الفارق فيما إذا كان متعديًا أو غير متعدٍ:

المتعدي: تستطيع أن تشتق من مصدره أفعالًا متعديّة فأنت الآن أمامك اسم السميع ما الصفة؟ السَّمع لأن الصفة هي المصدر، هل تستطيع أن تقول إنه يسمع؟ الجواب: نعم، بما أنك استطعت أن تثبت؛ إذًا هو اسم متعدٍ.

وقد بيّن هذا ابن القيم -رحمه الله- فقال: (**إن الاسم إذا أطلق عليه -سبحانه وتعالى- جاز أن يُشتق منه المصدر والفعل فيُخبَر عنه فعلًا ومصدر نحو السميع، البصير، القدير، يُطلق عليه من السَّمع والبصر والقدرة، ويُخبَر عنه بالأفعال من ذلك نحو {قَدْ سَمِعَ اللَّهُ}**[1] -سَمِع فعل- ، {فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ}[2].. **هذا إذا كان الفعل متعديًا** - إذًا إذا كان متعديًا تستطيع أن تثبت منه فعلًا، وإجمالًا يكون إثباتك اسمًا وصفة وفعلًا، نقول: (صفة) ليسهل عليك وإلا فأنت تثبت اسمًا و(مصدرًا) وفعلًا- **فإن كان الاسم لازمًا لم يُخبَر عنه به**)[3] أي: بالفعل. يعني إذا كان الاسم لازمًا لم يُخبر عن الله به، أي: بالفعل، بل يُطلق عليه الاسم والمصدر دون الفعل.

إذا سُئلت الآن: اسم (الحيّ) و(المُحيي) أيهما يعتبر لازمًا وأيهما يعتبر متعديًا؟ كيف ستؤمن باسم المُحيي؟

---

(١) المجادلة: ١.

(٢) المرسلات: ٢٣.

(٣) بدائع الفوائد لابن القيم.

- تثبت المُحيي اسمًا وصفة، مصدرًا التي هي الإحياء.

- ثم تثبت فعلًا يُحي.

أمّا (الحيّ):

- تثبت الاسم وهو: الحي، والصفة: الحياة الكاملة التي لم تُسبق بعدم ولا يلحقها زوال، الحياة المستلزمة لكمال الصفات من العلم والقدرة لكنك لا تثبت منها فعلًا.

إذا سئلت عن (الأول والآخر):

- تثبت الاسم: الأول، والصفة: الأوّلية، ولا تثبت فعلًا.

(الآخر):

- تثبت الاسم: الآخر، والصفة: الآخرية ولا تثبت فعلًا.

(العظيم):

- تثبت الاسم: العظيم، والصفة: العظمة في كل شيء، ولا تثبت فعلًا لله، فعلًا يفعله الله في الخلق، عندما نقول: (وصف متعدٍ) يعني الاسم له تعلق بالغير فأنت الآن هذا اسم لله والكون لا يوجد فيه إلا خالق ومخلوق وهذا اسم لله فإذا كان اسمًا متعديًا يتضمن فعل، من يفعله؟ الله على خلقه، فلا تأتِ عند (عظيم) وتقول: يُعظِّم لأن هذا فعل المخلوق.

وانتبه عندما أقول لك: (اسم متعدٍ) و(اسم غير متعدٍ) أنا أقصد التعدي من فعل الله على المخلوقين، لكن المخلوقين أسماء الله كلها لهم هم أفعال متعدّية، منهم إلى الله فأنت عندما تسمع اسم العظيم هو بالنسبة لله ليس متعدٍ فلا يتضمّن الاسم فعلًا منه يقع عليه، لكن أنت عندما تسمع اسم العظيم لابد أن يقع في قلبك فعلًا متعديًا: أنك تعّظمه.

عندما تسمع أنه الأول لا يوجد فعل من الله ليس اسمًا متعديًا، لكن بالنسبة لك يوجد تعدٍ، فإذا كان هو الأول يتعلق قلبك به أنه يبتدؤك بفتح أبواب العطاء فهو الأول الذي لا يسبقه شيء.

عندما تسمع أنه هو الحيّ الذي لا يموت -سبحانه وتعالى- فتكون به متعلقًا وهو ركنك الشديد وملجؤك الوحيد، به تستغيث وعليه تتوكل مع أنه ليس اسمًا متعديًا، فرقوا بين هل (التعدي) هنا حاصل من العبد إلى ربه أو من الرب سبحانه إلى عباده.

يأتي الآن الكلام حول الفائدة من ظهور الحكم والمقتضى، الشيخ بعد أن ذكر أن أسماء الله تعالى إن دلت على وصف متعدٍ تضمنت ثلاثة أمور أحدها: ثبوت ذلك الاسم لله عز وجل، الثاني: ثبوت الصفة التي تضمَّنها لله عزَّ وجلَّ، الثالث: ثبوت حكمها ومقتضاها قال:

(**ولهذا**) أي لثبوت الحكم والمقتضى؛ لأن أهل السّنة والجماعة يثبتون الحكم والمقتضى قال: (**استدل أهل العلم على سقوط الحد عن قطَّاع الطريق بالتوبة**) يذكر هنا آية المائدة التي وردت في سياق الكلام حول الحكم على من يحارب الله ورسوله لأن قطاع الطريق يعتبرون محاربين لله -عزّ وجلّ- ورسوله، قال: (**استدلّوا على ذلك بقوله تعالى:** {**إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ**

رَحِيمٌ}[1]) تابوا من محاربتهم لله ورسوله فلا يقام عليهم حد الحرابة، من قال لكم إنه لا يقام عليهم حد الحرابة؟ الآية تقول: {إِلاّ الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ} الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم أُستثنوا، لكن عندما أُستثنوا لم يُقل لنا ماذا نفعل معهم، قيل لنا: ({فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} لأن مقتضى هذين الاسمين أن يكون اللهُ تعالى قد غفر لهم ذنوبهم، ورحمهم بإسقاط الحدِّ عنهم.)

فإذا علمت أن اسما الغفور والرَّحيم لهما أثر ولهما حكم ولهما مقتضى؛ فستفهم أن (غفور رحيم) كأنهما قاما مقام أن الله غفر لهم بسبب توبتهم، فغفر لهم محاربتهم، ورحمهم بإسقاط الحد عنهم.

ولهذا علينا أن نسأل أنفسنا دائمًا: لماذا ختمت الآية بهذا الوصف؟ غالبًا ما تختم الآيات بالصفات المتعدية خصوصًا في سياق آيات الأحكام، مثلًا: {عزيز حكيم} كما مرّ معنا في الشعراء، وإن كانت تختم بصفات غير متعدية مثل آية الكرسي ختمت بصفات غير متعدية: {وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ}، فمن فقهك يا طالب العلم أن تفهم آثار الأسماء الحسنى على العباد لأنك خوطبت بالكتاب متعبدًا.

فأنت الآن عندما تنظر للآية ترى أن حد الحرابة سقط قبل القدرة عليهم وهذا ساقط بلا خلاف عند أهل العلم وأنت إذا نظرت إلى أول الآية ستجد أن حد الحرابة: أن يقتّلوا أو يصلّبوا أو تقطّع أيدهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض، ثم أتى الاستثناء: إلا الذين تابوا، بعدما ذُكر حكمهم في الدنيا ذُكر حكمهم في الآخرة، ثم أتى بعدها: {إِلا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ} ماذا يحصل لهم؟ {فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} غفر لهم ذنبهم بالتوبة، رحيم فأسقط عنهم الحد.

---

(١) المائدة: ٣٤.

هذا المثال أتى به الشيخ ليبين لك كيف أن الله -عزّ وجلّ- يعلّل أوامره ونواهيه بأسمائه وصفاته.

نريد أن نطبّق الآن على آية النساء (١٤٩): {إِن تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَن سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا}.

قال الشيخ السعدي: (ثم قال تعالى: {إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ} وهذا يشمل كل خير قوليّ وفعليّ، ظاهر وباطن، من واجب ومستحب. {أَوْ تَعْفُوا عَن سُوءٍ} أي: عمن ساءكم في أبدانكم وأموالكم وأعراضكم، فتسمحوا عنه، فإن الجزاء من جنس العمل. فمن عفا لله عفا الله عنه، ومن أحسن أحسن الله إليه، فلهذا قال: {فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا} أي: يعفو عن زلات عباده وذنوبهم العظيمة فيسدل عليهم ستره، ثم يعاملهم بعفوه التام الصادر عن قدرته. وفي هذه الآية إرشاد إلى التّفقه في معاني أسماء الله وصفاته، وأن الخلق والأمر صادر عنها، وهي مقتضية له، ولهذا يعلل الأحكام بالأسماء الحسنى، كما في هذه الآية. لما ذكر عمل الخير والعفو عن المسيء رتب على ذلك، بأن أحالنا على معرفة أسمائه وأن ذلك يغنينا عن ذكر ثوابها الخاص)[١].

متبيّن المعنى مطابقة المعنى يعني هنا الآن أرشد الله -عزّ وجلّ- إلى العفو، ما جزاء من عفا؟ هل نُصّ على الجزاء؟ لا، إنما قيل: {فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا}.

ما معنى أن يصف الله نفسه في هذا السياق بأنه عفوٌ قدير؟ أن الله سيعاملك بعفوه إذا أنت عاملت الناس بالعفو، قال الشيخ: (يعفو عن زلات عباده وذنوبهم العظيمة فيسدل عليهم ستره) ولماذا أتى (عفو) مع (قدير)؟ لتعلم أنك قد تعفو وأنت غير قادر على أخذ حقك منه، قد يقع منك العفو لضعفك فأنت مع ضعفك لا

---

(١) تفسير السعدي، سورة النساء: ١٤٩.

تستطيع أن تأخذ حقك كاملًا والله مع قدرته يأخذ منك يعني يجازيك على فعلك، فإذا كنت ضعيفًا ولا تستطيع أن تجازي أحد على اعتدائه عليك كما يجازي القوي، والله -عزّ وجلّ- قادر عليك وقادر على جزائك، فإذا أحببت أن يعفو عنك القادر فاعفُ أنت عن من تقدر ومن لا تقدر عليه لأن هناك الكثير أساؤوا لك فعاملهم بالعفو من أجل أن يعفو عنك من هو قادر عليك، قال الشيخ: (ولهذا يعلل الأحكام بالأسماء الحسنى، كما في هذه الآية. لما ذكر عمل الخير والعفو عن المسيء رتّب على ذلك، بأن أحالنا على معرفة أسمائه وأن ذلك يغنينا عن ذكر ثوابها الخاص) ثواب عمل الخير والعفو عن الناس.

الآن يُطلب منكم أن تأتوا بمواطن أخرى فيها إشارة إلى ترتيب الأحكام على أسمائه وصفاته.

نكمل الآن بقية القاعدة يقول الشيخ:

(مثال ذلك: (السَّميع) يَتَضَمَّنُ إثباتَ السَّميع اسمًا لله تعالى، وإثبات السَّمع صفةً له، وإثباتَ حُكْمِ ذلك ومقتضاه، وهو أنه يسمع السِّرَّ والنَّجوى، كما قال تعالى: {وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ}[١])

هذه الآية معلوم أنها في سورة المجادلة ولعائشة رضي الله عنها في هذه الآية كلام عجيب يدل على الصفة، يدل على أن معتقد السلف: الإيمان بالأسماء والصفات، مطلوب منكم نقل كلامها وتسجيله على كتبكم مستشهدين على أن قولها دليل على أن هذا معتقد السلف أنهم يؤمنون بأن الله -عزّ وجلّ- له أسماء وله صفات.

قال الشيخ : (وإن دلت على وصف غير متعدٍّ تضمَّنت أمرين:

---

(١) المجادلة: ١.

أحدهما: ثبوتُ ذلك الاسمِ لله عزَّوجلَّ.

الثاني: ثبوتُ الصفةِ التي تضمَّنها لله عزَّوجلَّ.

مثال ذلك: (الحيُّ) يتضمن إثباتَ (الحيِّ) اسمًا لله -عزّ وجلّ- و إثباتَ الحياة صفةً له)

الآن ننتقل إلى القاعدة الرابعة:

[القاعدةُ الرابعةُ: دلالةُ أسماء الله تعالى على ذاته وصفاته تكون بالمطابقة، وبالتضمُّنِ، وبالالتزامِ]

هذه القاعدة في لقائنا هذا سنقول عنها فقط: إن هذه نظرة أخرى لأسماء الله، فنحن مرّ معنا النظر إلى أسماء الله منفردة دون النظر إليها وهي في السياق فهذه القاعدة ستتكلم عن أسماء الله عندما تكون في السياق، في القاعدة الثانية اتفقنا أن: (أسماء الله تعالى أعلامٌ وأوصافٌ) فتنظر لها بنظرة على العلمية تكون مترادفة، تنظر لها نظرة بالوصفية تكون متباينة.

فالآن يقال لك: هل في كل موطن يأتي فيه الاسم أنظر على أن هذا الاسم يدل على الذّات ويدل على الصفة أم يمكن أن يدل على الذّات في موطن ويدل على الصفة في موطن؟

نقول: أما الاسم منفرد فهو: كل اسم يدل على ذات الله وعلى صفته. أما عندما يدخل السياق، فقد يقصد به في السياق: الدلالة على الذّات والصفة معًا، أو الدلالة على الذّات وحدها وعلى الصفة وحدها.

الآن أصبح عندي ثلاثة سياقات، هذا اسم واحد في سياق دلّ على أنه عَلَم، يدل على ذات الله، وعلى أنه وصف لله -على الصفة التي تختص-، وقد يكون في سياق آخر يدل فقط على العَلَميَّة أو يدل فقط على الوصفيَّة، فهي ثلاثة سياقات:

- في سياق يدل على الذّات وعلى الصفة.
- وفي سياق ثانٍ يدل على الذّات وحدها.
- وفي سياق ثالث يدل على الصفة وحدها.

إذًا أسماء الله تعالى قد تأتي في سياق فتدل على الذّات والصفة وتأتي في سياق آخر لا يدل الاسم إلا على الذّات فقط، وفي سياق ثالث يدل على الصفة فقط، تكون فهمت أن الذي يُتَكلّم عنه هو الله، فالاسم أتى للدلالة على الصفة فقط.

المهم في هذا الباب الأمثلة، سنقرأ جملة الشيخ ثم في لقائنا القادم نتكلم عن الأمثلة قال الشيخ:

(مثال ذلك: (الخالق) يدلُّ على ذات الله، وعلى صفة الخَلق بالمطابقة)

القاعدة تقول: (**دلالة أسماء الله تعالى على ذاته وصفاته**) (**ذاته وصفاته**) قلنا من البداية: (**أسماء الله أعلامٌ وأوصافٌ**)، (أعلامٌ) باعتبار دلالتها على الذّات و(أوصافٌ) باعتبار ما دلت عليه من المعاني، إذًا أنت تفهم أن أسماء الله تدل على ذاته وصفاته، متى يصبح الاسم علمًا؟ إذا دلّ الاسم على الذّات.

متى يصبح الاسم وصفًا؟ إذا دل الاسم على المعنى، على الصفة، فكأنه يأتي سؤال: كيف تدل أسماء الله تعالى على ذاته وعلى صفاته؟ قال:

(دلالة أسماء الله تعالى على ذاته وصفاته تكون بالمطابقة) ما معنى أن **(تكون بالمطابقة)** يعني أن الاسم في وقت واحد يدل على أني أتكلم عن ذات الله، ويدل في نفس الوقت أني أتكلم عن ذات الله مريدة أن أبين لك هذه الصفة.

في موطن آخر يأتي هذا الاسم لكن أنا أفهم من أول السياق أن هذا السياق يتكلّم عن الله، فعندما يأتي الاسم بعد معرفتي أنه يتكلّم عن الله؛ أعلم أن هذا الاسم أتى هنا ليدل على الصفة وليس للكلام عن ذات الله.

تأتي الحالة الثالثة: أن يأتي الاسم في السياق لا يقصد به الصفة إنما يقصد به فقط الدلالة على الذّات.

من أجل أن يتبين لك الأمر نضرب مثالًا على اسم الرّحمن سأبدأ أولًا بدلالة المطابقة، واعلم أنك تحتاج في هذا النوع من الفهم إلى مراجعة التفسير وليكن لك معلومًا أن هذه القاعدة أصلًا تستعمل في قواعد في التفسير، فلابد أن تتصور حاجتك إلى التفسير.

الأمر الثاني عندما تُشرح لك هذه القاعدة لا يقع عندك سؤال: كيف أعلم هذا مطابقة أم تضمن أو التزام؟ ليس المقصود أنك يا طالب العلم تستطيع التفريق بل المقصود عندما تقرأ في كلام المفسرين فتجده لم يشر إلى الصفة إنما تكلم عن ذات الله أو أشار إلى الصفة، أن تفهم إشاراته ماذا يقصد، ماذا يريد أن يبين لك، فهذه القاعدة لا تعني أنك ستكون مسؤولًا عن تحديد، إذا كان هنا بالمطابقة أو التضمن! ليس هذا المقصود إنما يأتيك هذا خبرًا من العلماء من أهل السّنة فتفهم تفسيرهم، ففرق بين أن يكون العلم أداة لفهم كلام الأوائل -فالعلم وصْل بالأصل- وبين أن يكون مطلوب منك أن تقرر أو أن تميز، في هذا الكلام الذي نقوله لا تحتاج إلى تمييز إنما تحتاج إلى فهْم وتقرير.

اعملوا جدول اكتبوا فيه:

نوع الدلالة:

الدليل:

وجه دلالة الاسم:

نبدأ بأخذ دلالة المطابقة:

ما معنى دلالة المطابقة؟ أن يأتي الاسم في سياق يقصد به أن تعلم أننا نتكلم عن الله وأن تعلم عن الله هذه الصفة فيكون الاسم دلّ على كل المقصود منه؛ لأن الاسم يدل على الذّات وعلى الصفة، فإذا كان الشيء يدل على كل المقصود منه سُمّي هذا: دلالة مطابقة. مثلًا إذا قلت لك: بنيت بيتًا ماذا تفهم من كلمة (بيت)؟ تفهم بيت فيه حجرات بكل منافعه: مطبخ، دورات مياه، غرف لاستقبال الضيوف، غرف للنوم. فكلمة (بيت) أتت في سياق تدل على كل معاني كلمة (بيت) التي تأتي في الذهن، إذًا بنيت بيتًا كلمة (بيت) تدل على المطابقة.

ما معنى دلالة التضمن؟ أتكلم أولًا عن أسماء الله والمعنى: أن يأتي الاسم في سياق يقصد به -بالاسم- أن تعلم أننا نتكلم عن الله فقط. أو أن يأتي الاسم في سياق آخر يُقصد أن تعلم أننا نتكلم عن الصفة فقط. كيف يتكلم عن الصفة فقط؟ لأن ذهنك انتقل وعلمت أن هذا السياق فيه كلام عن الله، لكن عندما أتى الاسم بعده لم يقصد نقل ذهنك في الكلام عن الله إنما الكلام عن صفة الله.

إذا ضربنا مثال وقلت: (استقبلت ضيوفي في البيت) هل معنى كلمة (بيت) هنا نفس معناها في سياق (بنيت بيتًا)؟ لا، كلمة (بيت) هنا تعني المكان المخصص لاستقبال الضيوف، فهي نفس الحروف (بيت) لكن قُصد بها جزء من معنى البيت.

نأتي بأمثلة، مثال على دلالة المطابقة ومثاليين على دلالة التضمن، فمرة يدل على الذّات ومرة على الصفة، لا تنسى أنه لا يطلب منك أن تميز إنما يطلب منك أن تفهم عن أهل العلم.

إذا أتينا إلى قوله تعالى: {الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ}[1] الاسم هنا يدل على ماذا؟ على دلالة المطابقة، من أين علمت أنه يدل على دلالة المطابقة؟ عندما قلنا {الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ} (الرّحمن) هنا مبتدأ ففهمت أننا نتكلم عن الله دلّت على ذات الله، لابد أن تدل في السياق أيضًا على الصفة في نفس الوقت من أجل أن تكون دلالة مطابقة، فأنت الآن عندما تنظر إلى كلام أهل العلم في قوله: {الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ} تجد كلامًا لابن القيم في كتاب مدارج السالكين معناه أن الله -عزّ وجلّ- ذكر استوائه على عرشه مقرونًا باسمه الرّحمن ليعمّ جميع الخلائق على اختلاف أنواعها برحمته فكما أن العرش أوسع المخلوقات فكذلك الرّحمة أوسع الصفات.

قال ابن القيم: (**فاستوى على عرشه باسم الرّحمن لأن العرش محيط بالمخلوقات، والرّحمة محيطة بالخلق، واسعة لهم**)

أي قُصد من اسم الرّحمن: الدلالة على ذات الله، أنت فهمت أننا نتكلم عن الله {الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ} فدل الرّحمن على ذات الله، وعندما قرأت في كلام المفسرين للآية علمت أن اقتران استوائه على عرشه برحمته يدل على أن صفة الرّحمة مقصودة، فاستوى على عرشه (**فاستوى على عرشه باسم الرّحمن لأن العرش محيط بالمخلوقات، والرّحمة محيطة بالخلق، واسعة لهم**) فهنا دلّ السياق على أن اسم الرّحمن دلالة مطابقة.

---

(١) طه: ٥.

نأتي لدلالة التضمن:

سنأتي بمثالين: مثال يدل على الذّات ومثال يدل على الصفة، يعني أتى اسم الرّحمن في سياق يدل على الذّات وفي سياق يدل على الصفة، انظروا إلى أواخر الإسراء، قال تعالى: {قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ}[1]هذه الآية نزلت ردًا على المشركين (سجلوا من تفسير ابن كثير سبب نزولها.)

قيل في تفسير ابن كثير: (وقد روى مكحول أن رجلا من المشركين سمع النبي -صلّى الله عليه وسلّم- وهو يقول في سجوده : (يا رحمن يا رحيم)، فقال : إنه يزعم أنه يدعو واحدا، وهو يدعو اثنين . فأنزل الله هذه الآية. وكذا روي عن ابن عباس، رواهما ابن جرير) ومعناه أنهما اسمان لواحد.

عندما يقول: (معناه اسمان لواحد)، هل يُقصد هنا الدلالة على صفة الرّحمة؟ يُقصد افهم أن اسم الله واسم الرّحمن كلاهما يدل على ذات واحدة، فعلمت هنا أن اسم الرّحمن أتى في السياق ليدل على الذّات وسبب النزول واضح.

نأتي الآن بمثال ثالث يدل على أنه قد يأتي اسم الرّحمن في سياق ليدلّ على الصفة فقط:

أمثلة ذلك كثيرة مثل أن تقول: {بسم الله الرّحمن الرَّحيم} مثل أن تقول: {الْحَمْدُ لِلَّهِ ربّ الْعَالَمِينَ الرَّحْمَٰنِ الرَّحيم}[2] انتقل ذهنك مباشرة لله (الرّحمن) علمت أنه ليس المقصود أن ينقلك مرة أخرى لله لأن ذهنك منقول أننا سنتكلم عن الله، لكن أتى بوصف له (الرّحمن) {الْحَمْدُ لِلَّهِ ربّ الْعَالَمِينَ الرَّحْمَٰنِ الرَّحيم} يعني (الحمد لله ربّ

---

(١) الإسراء: ١١٠.

(٢) الفاتحة: ٢-٣.

العالمين) الذي وصفه الرّحمن، كيف يقال: الذي وصفه الرّحمن؟ يقال هنا دلّ اسم الرّحمن على الصفة ولم يُقصد بإيراده الدلالة على الذّات.

من هنا تفهم كلام المفسرين عندما تسمعهم في شرح (الحمد لله): الحمد كله لله الذي وصفه أن ربّ العالمين وتربية العالمين لا تأتي تربية العالمين لا تكون إلا بصفة الرّحمة فهو ذو الرّحمة الواسعة والرّحمة الواصلة، فلم يكلمك عن الاسم إلا أنه كلمك عن مناقشة الصفة لكن لا يمنع هذا من كونه اسمًا إذا نظرت له وحده.

قال: (مثال ذلك: (الخالق) يدل على ذات الله، وعلى صفة الخلق بالمطابقة، ويدل على الذّات وحدها) يعني في سياق يدل على الذّات وحدها وعلى صفة الخلق وحدها بالتضمن ويدل على صفتي العلم والقدرة بالالتزام، لم نتكلم بعد عن دلالة الالتزام لكن ذكرنا أن:

- دلالة اسم (**الخالق**) على ذات الله عزّ وجلّ، وعلى صفة الخلق معًا، تسمّى (دلالة مطابقة.)

- ودلالة اسم (**الخالق**) على الذّات وحدها، وعلى صفة الخلق(بالتضمن.)

الحمد والفضل لله أن سخّر أسباب الاجتماع للعلم ورزقنا الصحة والعافية والفهم لإدراك هذا العلم، أسأله -سبحانه وتعالى- أن يجعلنا من الذاكرين الشاكرين المثنين عليه -سبحانه وتعالى- بما يستحقه من الثناء.

جزاكم الله خيرًا.

أسأل الله -عزّ وجلّ- أن ينفع بكم وأن ينفعكم بما سمعتم.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

اللّقاء الثّالث

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الحمد لله الذي منّ علينا بالقرآن وهدانا للعلم عنه، وأمرنا في كتابه أن ندعوه بأسمائه الحسنى ويسّر لنا العلم عن أسمائه، فأسأله المنان كما منّ علينا بالعلم ويسّره لنا أن يجعلنا من الشاكرين الذاكرين للنعماء، وأن يرزقنا العمل بما منّ علينا من العلم فهو الموفِق -سبحانه وتعالى- لذلك لا أحد غيره.

لازلنا في قواعد في أسماء الله تعالى التي ذكرها الشيخ محمد -رحمه الله- في كتابه المبارك (**القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى**) وهذه القاعدة الرابعة قد ناقشنا جزء منها نعيد مراجعته ثم نضيف عليه ما يُتمم لنا فهم القاعدة.

الشيخ بعد أن ذكر:

- القاعدة الأولى التي فيها أن (**أسماء الله تعالى كلّها حسنى**) ثم علل حُسنها بأنها: متضمّنة لصفات كاملة لا نقص فيها بوجه من الوجوه لا احتمالًا ولا تقديرًا.

- بيّن في القاعدة الثانية أن (**أسماء الله تعالى أعلام وأوصاف**) وهذا تقديرٌ ووصف لازم، لابد بما أن أسماء الله حسنى وكما قرأتم ما ذكره ابن القيم من أدلة على أن أسماء الله تعالى حسنى وكيف أن الذي جعلها حسنى أنها متضمّنة بصفات وأتى بالقاعدة الثانية مبنية على هذا المفهوم قال إذا نظرت لأسماء الله انظر لها كأعلام يعني كل أسماء الله تدل على ذات واحدة وبهذا الاعتبار تكون مترادفة.

ثم بالاعتبار الثاني قال: إذا نظرت للصفات فسترى أن الصفات متباينة، فهي باعتبار دلالتها على الصفات تعتبر متباينة لأن اسم (الحيّ) يتضمن صفة الحياة، واسم (العليم) يتضمن صفة العلم، فالحياة غير العلم غير القدرة إلى آخره.

- واستفدنا من هذه القاعدة أن أسماء الله تعالى أعلامٌ وأوصافٌ فكما بيّنت لنا الحق أيضًا أرشدتنا إلى رد الباطل، فاستطعنا من خلالها أن نرد على من قال: (إن الله سميع بلا سمع وبصير بلا بصر!) المعطلة ومن شابههم.

- واستطعنا أن نرد على من قال: (إن الدّهر اسم من أسماء الله!)

- ثم عندما كانت أسماء الله -عزّ وجلّ- متضمّنة لصفات نوع منها متعدي ونوع منها لازم، فكأنه أرشدك كيف نؤمن بالأسماء إذا كانت تضمن صفة متعدية، وكيف نؤمن بالأسماء إذا لم تتضمن صفة متعدية، فإذا تضمنت صفة متعدية قال لك: آمن بالاسم والصفة وبالحكم المقتضى، ومن خلال نقاشنا مَنّ الله علينا وأرشدنا لبيان كيف نفرق بين الاسم إذا كان متعديًا وإذا كان لازمًا، كل اسم لابد أن تأتي له بمصدر لأن كل اسم يتضمن صفة لكن إذا استطعت أن تأتي من المصدر بفعل كان هذا اسمًا متعديًا، وإذا لم تستطع أن تأتي بفعل لله كان اسمًا لازمًا.

فلما تبين لنا بفضله وكرمه ما يعتقد أهل السّنة والجماعة في أسماء الله أشار الشيخ إلى هذه القاعدة الجليلة قال:

[القاعدةُ الرابعةُ: دلالةُ أسماء الله تعالى على ذاته وصفاته تكون بالمطابقة، وبالتضمُّنِ، وبالالتزامِ]

فأسماء الله تعالى تدل على ذاته وتدل على صفاته لكن قد يأتي اللفظ ويُقصد به الدلالة على تمام المعنى الذي يحتويه وبذلك تكون دلالة مطابقة.

- إذًا إذا أتى الاسم في السياق فدلّ على تمام المعنى، أي: دل على الذّات وعلى الصفة التي يحتويها الاسم، كانت هذه الدلالة دلالة مطابقة.

- وإذا دلّ على جزء من المعنى، أي: أتى في سياق فدلّ على الذّات، وفي سياق دلّ على الصفة هذه تسمى دلالة تضمن.

- وإذا دلّ على شيء خارج اللفظ يعني هي دلالة اللفظ على خارج معناه هذه تسمى دلالة الالتزام.

ضربنا على ذلك مثال: اسم الرّحمن، أخذنا مثال على التطابق وعلى التضمن مثالين، الآن نأتي بمثال يدل على أن الاسم طابق كل المعنى، ونأتي بمثال فيه أتى الاسم للدلالة على الذّات وحدها، ونأتي مثال دلّ فيه الاسم على الصفة وحدها، فهذه ثلاثة أمثلة أما الرابع فهذا بالاستنتاج، دلالة الالتزام بالاستنتاج، تأتي بالدليل وتأتي أيضًا بالاستنتاج.

نراجع ما ذكرنا، ثم نذكر دلالة الالتزام:

عندما أتتنا آية الإسراء {قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ} ذكرنا هنا سبب النزول، هنا في آية الإسراء اسم الرّحمن يدل دلالة تضمّن.

{بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ} دلالة تضمن يدل على الصفة لأن الرّحمن ما دل على جميع المعنى، تعلم أننا نتكلم عن **الله** {بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ الْحَمْدُ لِلَّهِ ربّ الْعَالَمِينَ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ} تعلم أننا نتكلم عن الله لكن المقصود هنا صفة الرّحمة.

{الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى} سمعت كلام المفسرين فيها كما ذكر ابن القيم في المدارج ملخص كلامه (إن أوسع الصفات اقتران بأوسع المخلوقات) فعلمت أن الرّحمن يقصد الصفة والرّحمن مبتدأ فأول موطن ينتقل في ذهنك فتعلم أنك تتكلم عن الله باسم الرّحمن، فهنا بدلالة المطابقة لأنه دل على الذّات وعلى الصفة.

نأتي الآن إلى دلالة الالتزام في اسم الرّحمن:

اسم الرّحمن يدل باللزوم على: صفة الحياة، وصفة القيوميّة، وصفة الغنى، والأحدية، والصمدية، والحكمة، والعلم، والقدرة والعظمة... وكل ما يلزم للرحمة المطلقة العامة لأنه لا يُتصوّر صدور الرّحمة من ميت! أو من حي انعدمت قدرته عليها ولا يُتصور أيضًا أن تأتي الرّحمة ممن يكون مفتقرٌ إلى غيره، وأيضًا لابد لرحمته من صمديته لأنه لابد أن يكون غنيًا في ذاته في قيام رحمته وعزته وقدرته وقوته يعني هو الذي يرحم ولا يحتاج إلى الرّحمة، غني فهو صمد يحتاجه كل أحد وهو لا يحتاج إلى أحد فرحمته أتت من صمديته من حاجة الناس إليه فهو غني بذاته في قيام رحمته وعزته وحكمته وقدرته وقوته، غني، صمد، يلجأ إليه كل أحد وهو لا يحتاج إلى أحد.

على كل حال يتبيّن لنا بوضوح أنه:

- بما أنه رحمن إذًا هو حي.
- بما أنه رحمن إذًا يرحم الخلائق إذًا هو قيوم.
- بما أنه رحمن يرحم الخلائق إذًا هو غني.
- بما أنه رحمن إذًا هو واحد أحد لا يحتاج إلى أحد له العزة والصمدية والعلم والقدرة والعظمة هذا كله لأن الرّحمة العامة من التدبير، من لوازم الصفة.

قال الشيخ: (مثال ذلك: (الخالق) يدلُّ على ذات الله، وعلى صفة الخَلق بالمطابقة، ويدل على الذّات وحدها وعلى صفة الخَلق وحدها بالتَّضمن، ويدل على صفتي العلم والقدرة بالالتزام.)

بما أنه خالق إذًا هو موصوف بالعلم وموصوف بالقدرة.

(ولهذا لمَّا ذكَرَ الله خَلْقَ السماواتِ والأرض قال: {لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌوَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا}[1])

يذكر بعدها فوائد من القاعدة فقال:

(ودلالة الالتزام مفيدةٌ جدًا لطالب العلم -متى تكون مفيدة؟- إذا تدبَّر المعنى، ووفَّقَه الله تعالى فهمًا للتلازم) يعني تكون بسببين دلالة الالتزام مفيدة: (إذا تدبَّر المعنى، ووفَّقه الله تعالى فهما للتلازم) فإذًا التوفيق هو السر الذي يغيب عن كثير من طلبة العلم، فبعدما يكون مقصدهم الله تتشتت مقاصدهم وتتوه مراداتهم وينسون ما بذلوا من أجله أنفسهم، فتكثر عليهم وتلحّ شهوات أنفسهم بالعلو وتحقيق الذّات والنجاح و إلى ما تسمع من بلاءات تُصيب القوم! فإذا لم يكن لك من الله معين فقد ترديت في المهالك وإن كان الوادي هو وادي الطلب فهو أحد أودية الهلاك السحيقة إن لم يكن لك من الله عون، ونحن نتوسل إليه بمنّه وكرمه أن يرحم ضعفنا وينزل على قلوبنا الطهارة فالعلم بلا قلب طاهر، مكدرٌ ملوثٌ بل سمٌ قاتل! فما يُخشى على العبد وهو بعيد عن الطلب أقل مما يُخشى عليه وهو في داخل العلم، فيارب رحماك، مدّنا يا ربّ العون وارحم ضعفنا واجبر كسرنا واهدنا لا هادي لنا إلا أنت.

---

(١) الطلاق: ١٢.

يقول الشيخ: (**ودلالة الالتزام مفيدةٌ جدًا لطالب العلم إذا تدبَّر المعنى، ووفَّقَه الله تعالى فهمًا للتلازم، فإنَّه بذلك يحصل من الدليل الواحد على مسائل كثيرة**)

ثم ذكر الفائدة الثانية: (**واعلم أن اللازم من قولِ الله تعالى وقولِ رسوله -صلّى الله عليه وسلّم- إذا صح** -وهو قيد- **أنْ يكونَ لازمًا فهو حقٌّ** -ثم يأتي بالسبب- **وذلك لأنَّ كلام اللهِ ورسوله -صلّى الله عليه وسلّم- حقٌّ** -هذا السبب الأول- **ولازمُ الحق حقٌّ، ولأنَّ الله تعالى عالِمٌ بما يكون لازمًا من كلامهِ وكلامِ رسوله صلى الله عليه وسلم، فيكون مرادًا**)

نبدأ أولًا بفهم القيد، هو يتكلّم الآن عن (لازم كلام الله وكلام رسوله) يعني عندما نقول: إذا أثبت الله لنفسه أنه خالق؛ فهذا يلزم منه أنه على كل شيء قدير وبكل شيء عليم.

إذا أثبت الله لنفسه أنه رحمن إذًا يلزم بذلك أنه عليم، علمه محيط بعباده، قدير، إلى آخر هذه اللوازم.

فنقول: لازم كلام الله ورسوله إذا صحّ فهو حق، سنضرب مثالًا على قوله (**إن صحّ أن يكون لازمًا فهو حق**) هذا القيد الآن، يأتي أحد ويقول في قوله تعالى: {**وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**} يلزم من ثبوت هذين الاسمين لله عزَّ وجلَّ: إثبات الحياة، فنقول: هذا لازمٌ حق، يلزم من إثبات السميع البصير أنه حي نقول: نعم، هذا لازم حق لأن اللازم يوافق ما ثبت لله.

لو قال قائل: (يلزم من ثبوت هذين الاسمين -السميع البصير- التشبيه) نقول: هذا باطل والنص لا يدل على التشبيه، فأنت الآن إذا أتيت لقوله تعالى: { **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ**

{وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ}[1]نفس النص ينفي التشبيه، فهو سبحانه نفى عن نفسه المثلية {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ} أي ليس كوصفه شيء وأثبت أنه سميع بصير، فنقول له:

- اللازم الذي ألزمته كلام الله لا يصح أن يكون لازمًا إذًا هو ليس حق.

لكن الأول نقول له:

- نعم، بما أنه سميع بصير إذًا هو حي، ونقول: نُثبت هذا اللازم لأن كلام الله ورسوله حق ولازم الحق حق (ولأن الله تعالى عالم بما يكون لازمًا من كلامه وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم، فيكون مرادًا)

سيذكر بعد ذلك الشيخ فائدة عظيمة جدًا ذُكرت بالمناسبة وأيضًا لحاجة طلاب العلم لها فالشيء بالشيء يُذكر، المسألة هي: (هل ما يلزم من كلام الإنسان يُعدّ لازمًا له) وربما عرّج -والله أعلم- على هذه المسألة لأنها موطن زلل عند كثير من طلاب العلم! وإذا اشتكينا نشتكي لله فقط، ولا أقول هذا الكلام شكْوةً لكم فأنتم عباد لا تستطيعون نفع أنفسكم لتنفعوا غيركم! لكن أذكر هذا الكلام ليستبين لكم وتتضح الأحوال، فعندما تصاب القلوب بأمراض يأتي الإنسان فيُلزم كلام المتكلّم ما لا يلزم! يعني شخص يتكلّم تأتي تخترع أنت من بين الحروف معانٍ! لكن من مرض أصاب قلبك، فأنت اتقِ الله، اشعر بأنك ستحاسب عن اتهاماتك التي ليس لها دليل والمصيبة عندما يُنفّر من العلم يعني أنتم أحيانًا تتعرضون لمخالفين على الحقيقة واضحين وظاهرين تحضر محاضرة كلها ولم يوصف الله بوصف كمال ولم يحضُّ على عمل صالح بدليل، ولم يُذكر ثواب ولا عقاب بدليل ولم يتكلّم عن الأمر المهم الذي هو الأمر بتوحيده المبني على وصفه بالكمال، تجد الكلام هواء! وهذا كلام واضح، فمثل هؤلاء متبيّن ما بهم من عوار، وأكثر مَن ترك العلم سَلك هذا المسلك! مسلك القصص، مسلك الرُّؤى، مسلك

---

(١) الشورى: ١١.

الأحلام، مسلك المشاعر والأحاسيس! هذا متبين ومثل هذا النصيحة فيه تلزمك لكن للمتكلّم، واليوم لم يبقَ لك عذر فأنت مثلًا آخر المحاضرة اذهبي للمُحاضِرة وقولي لها: هل لديك بريد الكتروني وأريد مراسلتك وأرسلي لها ما تريدين وليس لغيرها، وليس شرطًا أن تقولي لها: أنت أسأتِ وأخطأتِ! ولكن أرسلي لها مباحث جاهزة وانصحيها أن هذه الأمور مهمة، وبما أن الله أعطاك أسلوبًا وطريقة تتكلمين بها فحبذا لو تكلمت في هذا فانتفعنا، وجدت هذا نافعًا فحبذا لو كان كذا.

إذا كانت تريد الخير فستُرشَد، أرسلي لها مواقع أهل العلم، أرسلي لها ملف صوتي فيها من العلم، إذا أردت النصيحة فطريقها سهل اليوم والحمد الله، والمكاتبة هذا منهج أهل العلم من زمن مضى، لكن إياك أن تُنفر الناس من شيء لا تعلم أن الشريعة منعته أو ليس لك دليل على أن ما يقوله باطل أو ربما اشتبه على المتكلّم مسألة! فحينئذ لا تكلمه ولا تناقشه، أمَّا أن تُصدّر على المتكلم أحكامًا فهذا من أبطل الباطل ولا أنكر أنه مرارًا وتكرارًا تكرر هذا الموقف، ومرارًا صُدّرت أحكام باطلة لمسائل لم يفهمها المستقبل وقد يفهم هذا الكلام أهل جدة جيدًا فأول ما أتى الكلام عن شرك النية والإرادة والقصد حصل معنا مثل هذا في أماكن كثيرة لكن لا بأس.

الآن الإشكال كما سبق وقلت لا أشتكي لكم فأنتم خلق من خلق الله لا تملكون لأنفسكم نفعًا ولا ضرًا ولكن أقول لكم: أنتم اتقوا الله ولا تبدؤوا الناس بالهجوم، كثير من الناس فيهم خيرًا يستطيعون أن يصلحوا أنفسهم وينهجوا منهج الطلب ويدفعوا عن أنفسهم وصف الجهل لو احتضنتهم أيدي مباركة، الآن الاتهامات المتكررة لمنهج السلف سببها: ناس كثير من وسط السلف، أنتم الآن قد تكونون سببًا لانتقاد منهج السلف لأنكم تهاجمون أي أحد وتنظرون له بعين الشك وتنظرون له بعين الاتهام قبل أن يتبين لكم أي شيء عنه وتلزموا أحيانًا كلامه بلوازم لم يثبت أنها لازمة له، إنما عجلةً منكم وتعرضًا لأعراض الناس، فاحذروا من ذلك واعلموا هذه القاعدة العظيمة التي ذكرها الشيخ.

نقرأ الفائدة التي ذكرها الشيخ وإذا أشكل عليكم شيء في مفهومها يتبين لكم عندما نتقدم في باب الصفات، قال: (وأما اللازم من قول أحد سوى قول الله ورسوله -صلّى الله عليه وسلّم- فله ثلاثُ حالات: الأولى: أن يُذكر للقائل) ماذا يُذكر للقائل؟ لازم كلامه، (ويلتزِمَ به) اللازم من كلامه، أي: يتكلّم المتكلّم فيقال له: يلزم من كلامك كذا وكذا ويلتزم به.

(مثل أن يقول: من ينفي الصفات الفعليَّة لمن يثبتها، يلزم من إثباتك الصِّفات الفعليَّة لمن يُثْبِتُها: يلزم من إثباتِك الصفاتِ الفعليَّة لله -عزّ وجلّ- أن يكون من أفعاله ما هو حادثٌ. فيقول المُثْبِت: نعم، و أنا ألتزم بذلك؛ فإن الله تعالى لم يزل ولا يزال فعّالًا لما يريد، ولا نفادَ لأقواله و أفعاله كما قال تعالى: {قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا}[1]

وقال: {وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}[2]

وحدوث آحاد فعله تعالى لا يستلزم نقصًا في حقِّهِ.)

الحال الثانية: أن يُذْكَرَ له ويَمْنَعَ التلازمَ بينه وبين قوله.

مثل أن يقولَ النَّافي للصفات لِمَنْ يُثْبتها: يلزم من إثباتك أن يكون اللهُ تعالى مشابهًا للخلق في صفاته. فيقول المُثْبِت: لا يلزم ذلك؛ لأنَّ صفات الخالق مضافةٌ إليه، لم تُذْكر مُطلقةً حتى يُمكِنَ ما ألزمت به، وعلى هذا فتكون مختصَّةً به لائقة به، كما أنك أيُّها النَّافي للصفات تثبت لله تعالى ذاتًا وتمنعُ أن يكون مشابهًا للخلق في ذاته، فأي فرقٍ بين الذّات والصفات؟!

---

(١) الكهف: ١٠٩.

(٢) لقمان: ٢٧.

وحكم اللازم في هاتين الحالين ظاهرٌ.

الحال الثالثة: أن يكونَ اللازمُ مسكوتًا عنه، فلا يُذْكَرُ بالتزامٍ ولا منعٍ، فحكمه في هذه الحال أن لا يُنْسَبَ إلى القائل؛ لأنه يحتمل لو ذكر له أن يلتزم به أو يَمْنَعَ التَّلازم، ويحتمل لو ذُكر له فتبين له لزومُهُ وبطلانُهُ أن يرجع عن قوله)

ثم قرر قاعدة عظيمة قال:

(لأن فساد اللازم يدل على فساد الملزوم)

الآن أوضح الحالات ثم أشرح الأمثلة لاحقًا حين تفهمون الأمثلة:

الحالة الأولى

يقول الشيخ: **(أن يُذكر للقائل ويلتزمَ به)**

حالة المُلزِم: أن يذكر للقائل اللازم من كلامه، أي: يقول له: أنت يلزم من كلامك، كذا وكذا.

حال القائل: يلتزم به.

حكم اللازم: فهو قول له.

الحالة الثانية

يقول الشيخ: **(أن يُذْكَرَله ويَمْنَعَ التلازمَ بينه وبين قوله.)**

حالة المُلزِم: أن يذْكر للقائل اللازم من كلامه.

حال القائل: يمنع التلازم بينه وبين قولِه. يقول: لا، لا يلزم من كلامي ما ذكرت.

حكم اللازم: فهو ليس قول له.

الحالة الثالثة

يقول الشيخ: (**أن يكونَ اللازمُ مسكوتًا عنه**)

حال المُلزِم: ساكت! لم يذكر للقائل اللازم من كلامه.

حال القائل: لم يلتزم، ولم يمنع التلازم. لماذا؟ لأنه لم يقل له أحد: هذا يلزم من كلامك.

حكم اللازم: لا يُنسب إلى القائل.

قال الشيخ: (**لأنَّه يُحتَمل لو ذُكِرَله** -هذا اللازم، ممكن- **أن يلتزم به أو يَمنعَ التَّلازم، ويُحتَمل لو ذُكِرَله** -هذا اللازم الفاسد- **فتبين له لزومُهُ وبطلانُهُ أنْ يَرجعَ عن قولِهِ**)

إذًا لا أستطيع أن أقول: (هذا لازم) لكلام شخص إلا إذا ألزمته به.

ذكر الشيخ دعوى دائمًا يدّعيها من تمرّس هذا الفعل قال:

(**فإن قيل: إذا كان هذا اللازمُ لازمًا مِنْ قوله**) يعني إذا كان متبيّن أن هذا اللازم لازمًا من قوله.

(**لَزِمَ أن يكون قولًا له**) يعني يكون واضح أن هذا لازم هذا، فرد الشيخ:

(هذا مدفوعٌ بأنَّ الإنسانَ بَشَرٌ وله حالاتٌ نفسيةٌ وخارجية تُوجب الذُّهول عن اللازم، فقد يغفل أو يسهو، أو يَنْغَلِقُ فِكْرُه، أو يقولُ القولَ في مضايقِ المناظراتِ من غير تفكيرٍ في لوازمه ونحو ذلك) فإذا كان هذا الحال لابد أن أقول له: إذا قلت كذا يلزم من ذلك كذا وكذا وأتركه يقول إذا كان هو يرى هذا اللازم أو لا يلتزم من كلامه كذا أو يرى بما أن كلامه يلتزم هذا اللازم؛ إذًا يرجع عن كلامه، فإذًا لا نلزم أحد بلازم كلام، بفهم فهمناه من كلامه إلا إذا ذكرناه له وقال: نعم، أنا التزم هذا وأقول هذا.

سنراجع الحالات الثلاثة:

- الحالة الأولى: رجل تكلم بكلام ووراء كلامه مفهوم وفهمنا من كلامه شيئًا، نأتي ونقول له: يا فلان معنى كلامك كذا وكذا.

يقول: نعم، أنا أردت بكلامي كذا وكذا.

إذًا يُذكر للقائل اللازم من كلامه، فيلتزم القائل بكلامه، وحُكمه: قولٌ له حتى إذا لم ينطق به.

- الحالة الثانية: يُذكر للقائل اللازم من كلامه، فيقال له: يلزم من كلامك كذا وكذا.

فيقول: أنا لا ألتزم وهذا ليس معنى كلامي. فإذًا هذا ليس قولًا له.

- الحالة الثالثة: الذي سمع الكلام لم يذهب للقائل ويبيّن له أنه يلزم من كلامه كذا وكذا، بل سكت، إذًا القائل لم يقل:(هذا الكلام يلزمني أو لا يلزمني.)

فحكمه لا يُنسب للقائل ولا أقول هذا كلام تكلم به، وكم جلسنا مجالس تكلم فيها الناس ثم قلنا: قالوا كذا وكذا! بالرغم أنها من لوازم كلامهم! الإشكال في الحساب عندما يحاسبنا الله ماذا سنقول؟! نسأل الله تعالى أن يجعلنا ممن خرست ألسنتهم عن إخوانهم فلا تتكلم إلا بالحق وأُعملت ألسنتهم في أعداء دينه فلا تتكلم فيهم إلا بما يرضي الله.

سؤال: هل دلالة الالتزام في أسماء الله ليس لها ضابط إلا أن يصح اللازم؟

جواب الأستاذة -حفظها الله-: نعم، ليس لها ضابط إلا أن يصح اللازم لكن هذا الضابط بنفسه عزيز ووراءه فهم طويل، يعني وراءه مباحث في كيف يصح اللازم؟ وما ضوابط صحة اللازم؟ سواء تتصل باللغة أو مقاصد الشريعة أو بأصول العلوم إلى آخره.

[القاعدةُ الخامسةُ: أسماء الله تعالى توقيفيةٌ لا مجال للعقل فيها]

هذه القاعدة واضحة في تقريرها.

(وعلى هذا فيجب الوقوفُ فيها على ما جاء به الكتاب والسّنة فلا يُزاد فيها ولا يُنْقص لأن العقل لا يمكنه إدراكُ ما يستحقه تعالى من الأسماء) يعني هذه علة القاعدة وهي أن العقل لا يمكنه إدراك ما يستحقه تعالى من الأسماء (فَوَجَبَ الوقوفُ في ذلك على النَّص. لقوله تعالى:)

وأتى الشيخ بأدلة تدل على أن العقل لا يمكنه إدراك ما يستحقه تعالى من الأسماء فقال:

{وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمع وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولًا}[1]

وقوله: {قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالأِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ})

هذان الدليلان تبيّن بهما أننا نهينا أن نتكلم عن الله بلا علم بما تُخمنه عقولنا وأُمرنا بأن لا نتعدى حدودنا فنحن مسؤولون عن سمعنا وبصرنا وأفئدتنا، سنحاسب عنها {وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمع وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولًا}.

إذًا عقلك لا يمكنه إدراك ما يستحقه سبحانه من الأسماء فيجب عليك أن تقف، لا تتكلم عن الله، تسميتك لله ما لم يسمِّ به نفسه، كلام على الله بغير علم وهذا من أعظم المحرمات.

قال السبب الثاني:

(ولأنَّ تسميتَه تعالى بما لم يُسَمِّ به نفسه أو إنكارَ ما سمَّى به نفسه جنايةٌ في حقِّهِ تعالى، فوجب سلوكُ الأدب في ذلك، والاقتصار على ما جاء به النص)

إذًا هذه القاعدة وهي أن أسماء الله تعالى توقيفية لا مجال للعقل فيها، ذكر الشيخ فيها التعليل، ما تعليل هذه القاعدة؟ أن العقل لا يمكنه إدراك ما يستحقه -سبحانه- من أسمائه ولأن تسمية الله بما لم يسمِّ به نفسه أو إنكار شيء من أسمائه جناية في حقه سبحانه، فالعباد يبغضون من يسمّيهم بغير اسمهم أو من ينفي عنهم أسماءهم وهم في أصلهم ناقصون فكيف يُعتدى على حقّه!

---

(١) الإسراء: ٣٦.

[القاعدةُ السادسةُ: أسماءُ الله تعالى غيرُ محصورة بعدد معيَّن]

(لقوله -صلّى الله عليه وسلّم- في الحديث المشهور: اللهمَّ إنّي أسأَلُك بكلِّ اسمٍ هو لك، سَمَّيتَ به نفسَك، أو أنزلْتَه في كتابِك، أو علَّمتَه أحدًا من خلقِك، أو استأثَرتَ به في عِلمِ الغيبِ عندَك.)[١]

نعم، أسماء الله توقيفية لا مجال للعقل فيها، لكن إذا كانت توقيفية من حيث ذِكْرها -من حيث التسمية- فهي غير محصورة بعدد معين من جهة العدد، فلا تفهم من قوله: (توقيفية) أنها محصورة بل توقيفية أي: على الكتاب والسّنة فما جاء في الكتاب أثبتناه وما نفاه الله -عزَّ وجلَّ- عن نفسه نفيناه، لكن لا تفهم من التوقيف الحصر.

والشيخ بدأ في هذه القاعدة بنفي الحصر لأن هناك من تصور أن أسماء الله تعالى ٩٩ اسمًا فقط وهو بهذا التصور ارتكب أكثر من خطأ:

الخطأ الأول: أنه لم يفهم الحديث على المراد.

الخطأ الثاني: أنه ترك أدلة أخرى تدل على أن أسماء الله تعالى غير محصورة بعدد معين.

ابتدأ الشيخ بالأدلة الدالة على قاعدته وهذا أحسن ما يكون من الترتيب بأن تبدأ أولًا بذكر أن دعواك عليها دليل ثم تناقش الدليل الذي قد يُفهم أنه مخالف، فاستدلّ على أن أسماء الله تعالى ليست محصورة بعدد معين:

---

(١) أخرجه أحمد (٣٧١٢)، وابن أبي شيبة (٢٩٩٣٠)، والبزار (١٩٩٤).

(لقوله -صلّى الله عليه وسلّم- في الحديث المشهور: اللهمَّ إنِّي أسأَلُك بكلِّ اسمٍ هو لك، سَمَّيتَ به نفسَك، أو أنزَلتَه في كتابِك، أو علَّمتَه أحدًا من خلقِك، أو استأثَرتَ به في عِلمِ الغيبِ عندَك)

فهذا الدليل تبيّن منه أن أسماء الله تعالى فيها:

- قسم سمّى الله -عزّ وجلّ- به نفسه فأظهره لمن شاء من خلقه وملائكته وهذا القسم لم يُنزل به كتابه، أي ما نزل في الكتب إنما علّمه -سبحانه وتعالى- لمن شاء من ملائكته أو غيرهم.

- وقسم آخر أنزله في كتابه فتعرّف به إلى عباده.

- وقسم ثالث استأثر به في علم الغيب فلم يُطلع عليه أحدًا من خلقه.

قال الشيخ: (وما استأثر الله تعالى به في علم الغيب لا يمكنُ لأحدٍ حصرُه ولا الإحاطةُ به.)

معنى (استأثر به): انفرد بعلمه، وهذا ليس هو الدليل الوحيد إنما فيما ثبت في الصحيح أن النبي -صلّى الله عليه وسلّم- يقول في سجوده: (اللَّهمَّ إنِّي أعوذُ برِضاكَ مِن سخَطِكَ، وبمُعافاتِكَ مِن عقُوبتِكَ، وبكَ مِنكَ، لا أُحصي ثَناءً عليكَ، أنتَ كما أثنَيتَ على نفسِكَ.)[1] (لا أحصي ثناءً عليك) معناه أن النبي لا يحصي أسماءه ولا صفاته لأن الثناء يكون بالأسماء والصفات.

---

(١) أخرجه مسلم (٤٨٦)، وأبو داود (٨٧٩)، والترمذي (٣٤٩٣).

أيضًا في حديث الشفاعة (ثُمَّ يفتحُ اللهُ علَيَّ ويُلْهِمُني مِنْ مَحامِدِهِ وحُسْنِ الثناءِ عليهِ شيْئًا لم يَفْتَحْهُ علَى أحدٍ مِنْ قَبْلِي)[1] قال ابن القيم : (وتلك المحامد هي بأسمائه وصفاته)[2] فتبين من هذه الثلاثة أدلة أن أسماء الله تعالى ليست محصورة بعدد معين.

نأتي هنا فنناقش الحديث قال:

(فأما قوله صلَّى الله عليه وسلَّم: (إنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وتِسْعِينَ اسْمًا، مِائَةً إلَّا واحِدًا، مَن أحْصاها دَخَلَ الجَنَّةَ)[3] فلا يدل على حصر الأسماء بهذا العدد)

كيف يُفهم؟ قال:

(ولو كان المرادُ الحصرَ لكانت العبارة: (إن أسماء الله تسعة وتسعون اسمًا))

أولًا: قُرر أنها ٩٩ اسمًا ثم (من أحصاها دخل الجنة، أو نحو ذلك) وفي الحديث (إن لله) فإذا كان المقصود أنه فقط أسماء الله ٩٩ كان أتت الجملة (إن أسماء الله تسعة وتسعون اسمًا) أو نحو ذلك.

(إذًا فمعنى الحديث: أن هذا العدد من شأنه أن من أحصاه دخل الجنة)

ثم يذكر الشيخ بعدها مثالًا، نكمل القراءة إلى المثال، فقال:

---

(١) أخرجه البخاري (٤٧١٢)، ومسلم (١٩٤).

(٢) شرح فائدة جليلة في قواعد الأسماء الحسنى.

(٣) أخرجه البخاري (٢٧٣٩).

(وعلى هذا فيكون قولُه: (من أحصاها دخل الجنة) جملةً مكمِّلةً لما قبلها وليست مستقلة.) يعني كأن الجملة إذا كانت مستقلة كانت (إن لله تسعة وتسعون اسما مئة إلا واحدة) هذا أول تقرير.

ثم التقرير الثاني: (من أحصاها دخل الجنة.)

لكنها ليست مستقلة إنما هي مُكمّلة يعني جملة واحدة، فجملة (من أحصاها دخل الجنة) صفة للتسعة والتسعين ليست جملة مبتدأة، ويصبح التقدير: (إن لله أسماء بقدر هذا العدد من أحصاها دخل الجنة) فالتقييد بالعدد هو في الموصوف بهذه الصفة، يعني ٩٩ قُيّدت بالتسعة والتسعين لآن هذه ال (٩٩) هي التي فيها هذه الصفة التي هي: (من أحصاها دخل الجنة) لا في أصل استحقاقه لذلك العدد.

قال الشيخ:

(ونظير هذا أن تقول: عندي مائة درهم أعددتها للصدقة، فإنه لا يمنعُ أن يكون عندك دراهمُ أخرى لم تُعِدَّها للصدقة)

إلى هنا بيّن الشيخ أن أسماء الله تعالى ليست محصورة بعدد معين وأن الحديث الذي قد وَهِم البعض أنه يدل على أنها محصورة، بيّن الشيخ ماذا يجب أن نعتقد فيه.

الآن يناقش الشيخ مسألة تعيين هذه الأسماء التسعة والتسعون وما الحكم على الحديث المروي عن النبي -صلّى الله عليه وسلّم- في تعيينها فقال:

(ولم يصح عن النبي -صلّى الله عليه وسلّم- تعيين هذه الأسماء، والحديث المروي عنه تعيينها ضعيف)

يشير الشيخ هنا إلى حديث أبي هريرة والذي جاء عنه من طريقين: طريق الأعرج وطريق ابن سيرين. سأذكر لكم طريق الأعرج لأن الشيخ سيناقش هذا الطريق:

هذه رواية (صفوان ابن صالح عن الوليد ابن مسلم عن شعيب ابن أبي حمزة عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة) وهذه رواية أخرجها الترمذي وأيضًا أخرجها البيهقي في شعب الإيمان وأخرجها البيهقي في السنن الكبرى لكنه اشتهر عن الترمذي، نرى الآن مناقشة الشيخ لهذه الرواية:

(قال شيخ الإسلام ابن تيميه في (الفتاوى ص ٣٨٢، ج ٦) من مجموع ابن قاسم: (تعيينُها -يعني الأسماء- **ليس من كلام النبي -صلّى الله عليه وسلّم- باتفاق أهل المعرفة بحديثه)**

يعني ليست من كلام النبي -صلّى الله عليه وسلّم- إنما من كلام من؟ ذكر الشيخ فقال :

(وقال قبل ذلك (ص ٣٧٩): (إن الوليد ذكرها عن بعض شيوخه الشاميين، كما جاء مفسرًا في بعض طرق حديثه. ا . هـ))

أي أن الوليد ابن مسلم الذي هو أحد رجال السند عندما ذكر العد، ذكر الأسماء في بعض الروايات مدرجًا كأنه من كلام النبي -صلّى الله عليه وسلّم- وفي بعض الروايات ذكر أنه عن بعض شيوخه الشاميين. أي أنه فصل كلام النبي صلّى الله عليه وسلّم: (**إن لله تسعة وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة**) ثم ذكر الوليد بن مسلم أن بعض شيوخه الشاميين عدّها وعد الأسماء، في رواية أخرى ذكرها من ضمن كلام رسول الله يعني إدراجًا فأصبحت عند بعضهم أنها من كلام النبي -صلّى الله عليه وسلّم- وحصل بذلك اللبس.

ثم ذكر كلام ابن حجر الذي يريد أن يقول فيه: إن البخاري ومسلم أخرجا الحديث الأول الذي هو رأس الحديث: (إن لله تسعة وتسعون اسمًا) لكنهم لم يُخرجوا العدّ الذي جاء في رواية الترمذي، كأنه أتى سؤال لماذا؟ قال:

(وقال ابن حجر في فتح الباري (ص ٢١٥، ج ١١، ط السلفية) : (ليست العلة عند الشيخين [البخاري ومسلم] تفرد الوليد فقط)

كأن السؤال: لماذا لم يرد العد عند البخاري ومسلم بعد الحديث؟ قال ليس فقط لأن الوليد تفرد بالحديث بل أيضًا حصل اختلاف، فتعداد الأسماء في رواية الترمذي ورواية ابن ماجه بينهما اختلاف زيادة ونقصًا في الأسماء.

قال: (بل الاختلاف فيه) فالاختلاف في نفس الأسماء جعل الحديث ضعيفًا، أيضًا قال: (والاضطراب، وتدليس) ربما نحتاج أن نراجع ماذا يقصد بالتدليس؟ هل في السند أم في الشيوخ؟! وقال: (واحتمال الإدراج).

قال الشيخ:

(ولمَّا لم يصحَّ تعيينها عن النبي -صلّى الله عليه وسلّم- اختلف السلف فيه، ورُوِيَ عنهم في ذلك أنواع، وقد جمعتُ تسعة وتسعين اسمًا مما ظهر لي من كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم:

فمن كتاب الله تعالى:

الله، الأحد، الأعلى، الأكرم، الإله، الأول، الآخر، الظاهر، الباطن، البارئ، البر، البصير، التواب، الجبار، الحافظ، الحسيب، الحفيظ، الحَفِيُّ، الحقُّ، المُبِينُ، الحكيم، الحليم، الحميد، الحيُّ، القيوم، الخبير، الخالق، الخلَّاق، الرؤوف، الرَّحمن، الرَّحيم، الرَّزاق، الرَّقيب، السلام، السميع، الشاكر، الشكور، الشهيد،

الصمد، العالِم، العزيز، العظيم، العفُّو، العليم، العليُّ، الغفَّار، الغفور، الغني، الفتَّاح، القادر، القاهر، القدوس، القدير، القريب، القويُّ، القهَّار، الكبير، الكريم، اللطيف، المؤمن، المتعالي، المتكبر، المتين، المجيب، المجيد، المحيط، المصوِّر، المُقتدِر، المُقِيت، المَلِك، المليك، المولى، المهيمن، النصير، الواحد، الوارث، الواسع، الودود، الوكيل، الوليُّ، الوهابُّ.

ومن سنَّة رسول الله صلى الله عليه وسلم:

الجميل، الجواد، الحكم، الحيُ، الرب، الرفيق، السُّبوح، السيد، الشافي، الطيب، القابض، الباسط، المقدم، المؤخر، المحسن، المعطي، المنان، الوتر.)

إذا سُئلت: هل الرب من أسماء الله تعالى؟ نعم، من الأسماء التي ذكرها الشيخ في السنَّة، وهذا يلفت نظرك إلى أنه ورد في السَّنة وليس في الكتاب.

إذا سُئلت: هل المتكبر اسم من أسماء الله؟ نعم، ثبت في الكتاب.

المنتقم هل هو اسم من أسمائه؟ لا، ليس من أسمائه، في البطاقة المنتشرة كان اسم (الرب) غير معدود من أسمائه و(المنتقم) عُدّ من أسمائه سبحانه.

الطبيب هل اسم من أسمائه سبحانه وتعالى؟ لا يراه الشيخ اسمًا.

يأتينا سؤال لماذا لا يراه اسمًا بالرغم أن الشيخ سيستعمله؟ سيستعمله على وجه خبر وليس على وجه التسمية، فلابد أن تتصور أن هناك خلاف في أسماء الله، والشيخ ذكر بعد ذكر الأسماء قال:

(هذا ما اخترناه بالتتبُّع: واحد وثمانون اسمًا في كتاب الله تعالى، وثمانية عشر اسمًا في سنَّة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وإن كان عندنا تردد في

إدخال (الحفيُّ): لأنه إنَّما وَرَد مقيَّدًا في قوله تعالى عن إبراهيم: {إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا}[1])

صحيح أنه على وزن العلمية، أنه عَلَمٌ، لكنه ورد خاصًا بإبراهيم فالشيخ لم يدخله اسم من أسماء الله.

وقال:

(وكذلك (المحسن) لأننا لم نطَّلع على رواته في الطبراني، وقد ذكره شيخ الإسلام من الأسماء)

وفي موطن آخر قال الشيخ: (ثم وجدته في مصنف عبد الرزاق)

وقال:

(ومن أسماء الله تعالى ما يكون مضافًا مثل: مالك الملك، ذي الجلال والإكرام)

اعتبره اسمًا لكن لم يعدّه، وهذا يفهّمك أن أسماء الله في الكتاب والسَّنة أكثر من تسعة وتسعين اسمًا لكن التسعة والتسعون هذه هي التي لها صفة: أن من أحصاها دخل الجنة.

---

(١) مريم: ٤٧.

نأتي للقاعدة الأخيرة في قواعد الأسماء، قال :

[القاعدةُ السابعةُ: الإلحادُ في أسماءِ الله تعالى هو الميلُ بها عمَّا يجب فيها]

الشيخ تطرق إلى الإلحاد لأنه متعمد في هذه القواعد على متابعة قوله تعالى: {وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ}[1] فهو أراد شرح هذه الآية فذكر هذه القواعد السبعة، والله أعلم أنه تتبع هذه الآية بفهمها ثم ختم هذا الفهم بقوله: (الإلحادُ) فبعد أن بيّن:

- أن لله أسماء وأن أسماءه حسنى وحُسنها لأنها أعلامٌ وأوصافٌ.
- ثم بيّن أن هذه الأوصاف قد تكون متعدّية وقد تكون لازمة.
- ثم بيّن أن هذه الأسماء عندما ترد في سياقات قد تدل على الذّات وقد تدل على الصفة وقد تدل على الذّات والصفة معًا.
- وبيّن لك أن الأسماء قد تدل على أسماء أخرى وعلى ذات الله بدلالة الالتزام.
- ثم بيّن لك أن أسماء الله هذه الحسنى توقيفية لا مجال لأن تقترح لله أسماء.
- ثم بيّن لك أن أسماء الله الحسنى غير محصورة بعدد معين.

فعندما انتهى من بيان هذه المسألة حول أسماء الله تعالى ولكي يكون متبيّن في ذهنك حينما تدعوه أن أسماءه كلها متضمّنة لصفات فتقول: يا غفور اغفر لي، ويا رحيم ارحمني؛ ختم هذه القواعد بما خُتمت بها الآية {وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ}

---

(١) الأعراف: ١٠٨.

فقال:

(الإلحادُ في أسماء الله تعالى هو الميل بها عما يجب فيها)

الإلحاد معناه الميل، الميل بماذا؟ بأسماء الله، أميل بها إلى أين؟ عمّا يجب فيها.

قال: (وهو أنواع -أي الإلحاد-:

الأول: أن يُنْكر شيئًا منها أو مما دلت عليه من الصفات والأحكام)

وأنت مرّ معك أن أسماء الله تعالى تدل على ذاته وعلى صفاته وعلى أحكام ومقتضيات إذا كانت متعدية، فمن الإلحاد أن تنكر مقتضياتها، أو تنكر الصفات التي تتضمّنها هذه الأسماء قال: (كما فعل أهلُ التَّعطيل من الجهمية وغيرهم)

ثم علّل لماذا هذا الإلحاد فقال:

(وإنما كان ذلك إلحادًا لوجوب الإيمان بها -يعني هذا ما يجب فيها: أن تؤمن بها- وبما دلّت عليه من الأحكام والصفات اللائقة بالله، فإنكار شيء من ذلك ميلٌ بها عمَّا يجب فيها.)

إذًا ذكر أول نوع من أنواع الإلحاد وذكر مَن فعل هذا وذكر العلّة لاعتباره إلحادًا، نأتي للنوع الثاني من الإلحاد وسيسير فيه بنفس الطريقة قال:

(الثاني: أن يجعلها دالّةً على صفاتٍ تشابه صفاتِ المخلوقينَ -أي: من الإلحاد أن يجعل أسماء الله تعالى دالة على صفات تشابه صفات المخلوقين- كما فعل أهلُ التَّشبيه -إذًا هؤلاء الذين فعلوا هذا الفعل- وذلك لأن التَّشبيه معنى باطلٌ) هذه العلة لماذا أصبح هذا إلحادًا (لا يمكن أن تدلَّ عليه النُّصوص، بل هي دالّة على بطلانه)

قال تعالى: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ}،{وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ}، فالنصوص نفسها تدل على البطلان، فمن الإلحاد تأتيك آيات تدلّك على بطلان التشبيه فتأتي أنت إلى أسماء الله وتجعل الصفات التي فيها مشابهة لصفات الخلق (فَجَعْلُها) يعني الأسماء (دالّة عليه) يعني على التشبيه (ميلٌ بها عمَّا يجب فيها.)

(الثالث: أن يُسمَّى الله تعالى بما لم يسمِّ به نفسَهُ، كتسميةِ النصارى له: (الأب)، وتسمية الفلاسفة إياه (العلَّة الفاعلة))

هذا الآن وصف لمن فعل هذا الفعل. لماذا يعتبر ذلك إلحادًا؟ قال:

(وذلك لأنَ أسماء الله تعالى توقيفيةٌ، فتسمية الله تعالى بما لم يُسَمِّ به نَفْسَهُ مَيلٌ بها عما يجب فيها، كما أن هذه الأسماءَ التي سَمَّوْهُ بها نَفْسَها باطلةٌ، يُنَزَّهُ الله تعالى عنها)

أي: سموه بما لم يسمِّ به نفسه ونفس الأسماء باطلة (كالأب) و(العلة الفاعلة) ليس فيها كمال.

(الرابع: أنْ يُشْتَقَّ مِنْ أسمائِه أسماءٌ للأصنام، كما فعل المشركون في اشتقاق العُزَّى من العَزِيز، واشتقاق اللّات من الإله على أحد القولين، فسمَّوا بها أصنامهم)

يبقى لنا هذا الجزء في الكلام عن الأسماء المختصة بالله ومسألة المشاركة في التسمية نناقشها بإذن الله في اللقاء القادم.

نسأل الله -عزّ وجلّ- التيسير، جزاكم الله خيرًا، نلقاكم على خير إن شاء الله.

اللقاء الرابع

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

إن من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

لازلنا في القاعدة السابعة والأخيرة من قواعد الأسماء، وهذه القاعدة هي خاتمة الآية: {وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ}

وذكر الشيخ أنواعًا من الإلحاد وتوقفنا عند النوع الرابع، قال:

(الرابع: أنْ يُشْتَقَّ مِنْ أسمائِه أسماءٌ للأصنام، كما فعل المشركون في اشتقاق العُزَّى من العَزِيز، واشتقاق اللّات من الإله على أحد القولين، فسمَّوا بها أصنامهم)

توقفنا عند هذه من أجل أن هذا النوع من الإلحاد سيفتح لنا كلامًا حول تسمية البشر بأسماء الله، سأذكر أولًا النوع ثم أناقش هذه المسألة الفرعية

(الرابع: أنْ يُشْتَقَّ مِنْ أسمائِه أسماءٌ للأصنام، كما فعل المشركون في اشتقاق العُزَّى من العَزِيز، واشتقاق اللّات من الإله على أحد القولين، فسمَّوا بها أصنامهم)

على أحد القولين، هناك قول بأن (اللات): من فعل: (يلتّ السويق.)

والقول الثاني: أنه مشتق من الإله،

(فسمَّوا بها أصنامهم)

اشتقوا وسموا، لماذا هذا يعتبر إلحادًا؟ أنتم لاحظتم طريقة الشيخ: أن يذكر نوع الإلحاد ثم يذكر أهله ثم يذكر سبب كونه إلحادًا إما دليلًا أو تعليلًا، فهنا أتى الدليل على أنه يعتبر إلحادًا أن يُشتق من أسمائه أسماء للأصنام أو يُشتق من أسمائه أسماء لغيره فماذا قال؟

قال: (وذلك لأن أسماءَ الله تعالى مختصةٌ به) يعتبر إلحادًا لأن أسماء الله تعالى مختصة به- لقوله تعالى: {وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا}، وقوله: {اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاّ هُوَ لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى}[1] وقوله: {لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ}[2])

استدل بهذه الأدلة على أن أسمائه -سبحانه وتعالى- مختصة به.

نريد أن نفهم كيف يتبين لنا من هذه الأدلة أن أسماء الله مختصة به، قال:

(فكما اختصَّ بالعبادة) في قوله: {فَادْعُوهُ بِهَا} الآية الأولى في الأعراف والدعاء هنا معناه: دعاء العبادة ودعاء المسألة.

(وبالألوهيّة الحقَّة) هذه في طه {اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاّ هُوَ}.

(وبأنه {يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ}) هذا في الحشر.

---

(١) طه: ٨.

(٢) الحشر: ٢٤.

(**فهو مختصٌ بالأسماء الحسنى**) ما معنى هذا الأمر؟ الشيخ يقصد أن أسماء الله تعالى كلها مختصة به فإضافة الأسماء إليه تعني اختصاصه به، فلما قال الله -عزّ وجلّ- {وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ} في الأعراف، {لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ} في طه والحشر، ماذا حصل في الجملة؟ تقديم ما حقّه التأخير، يعني الجملة: الأسماء الحسنى لله. عندما قُدّم ما حقّه التأخير أفاد الحصر أو القصر، يعني حُصر كمال الحُسن الثابت لأسمائه -سبحانه وتعالى- عليه فقال الشيخ: (**فكما اختص بالعبادة وبالألوهيّة الحقّة، وبأنه يُسبح له ما في السماوات والأرض، فهو مختص بالأسماء الحسنى، فتسمية غيره بها على الوجه الذي يختص بالله -عزّوجلّ- مَيْلٌ بها عما يجب فيها**).

الآن نناقش حكم تسمية البشر بأسماء الله، الأمر في هذا يكون على وجهين:

- الوجه الأول: ما كان من أسماء الله تعالى مختصًا به-سبحانه وتعالى- مثاله: لفظ الجلالة الله، الرّحمن، الخالق، البارئ، القيوم. الأسماء التي تكون مختصة به لا يجوز تسمية غيره بها لأن مسمًّى هذه الأسماء معيّن، يدل على ذات الله، لا يقبل الشِّركة، فإذا أتينا نناقش هذه الأسماء التي ضربناه مثلًا:

(الله، الرّحمن، الخالق، البارئ، القيوم)

- عندما تتكلم عن اسم الله نجد معناه: ذو الألوهيّة والعبودية على خلقه أجمعين. فلا يمكن أن يكون هذا الاسم فيه شِركة. ولفظ الجلالة (الله) يدل على الله مباشرة لا أحد آخر يسمَّى بهذا الاسم.

- الرّحمن: يدل على كمال رحمة الله التي وسعت كل شيء، واسم الرّحمن كثُر استعماله فأصبح عَلَمًا على الله، مثل ما ورد في سورة مريم ماذا قالت عندما

استعاذت من الملك؟ {قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا}[1] فكثُر استعمال (الرحمن) في الدلالة على الله فأصبح علمًا بالغَلَبة عليه -سبحانه وتعالى- يعني مختص به.

- الخالق هو: من يُوجِد الأشياء على غير مثال سابق.

- البارئ هو: من يُوجِد الشيء بريئًا من العيوب، وهذا لا يكون إلا من الله وحده.

- القيوم هو: المستغني بنفسه عن غيره وكل شيء مفتقر إليه.

إذًا في النهاية ماذا نقول على هذا النوع من الأسماء؟ أنه يمتنع تسمية غيره -سبحانه وتعالى- بشيء منها.

نأتي للنوع الثاني من الأسماء:

- الوجه الثاني: ما كان من الأسماء له معنى كليّ تتفاوت فيه أفراده مثل:

(الملك، العزيز، الجبار، المتكبر)

فعندما تسمع قوله تعالى: {كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ}[2] ماذا ستقول؟ الله -عزَّ وجلَّ- سمّى نفسه (متكبر) وسمّى نفسه (جبار) وسمّى بعض عباده بهذه الأسماء {قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ}[3] (العزيز) الملك في سورة يوسف، ولا يلزم من ذلك

---

(١) مريم: ١٨.

(٢) غافر: ٣٥.

(٣) يوسف:٥١.

التماثل لأن الإضافة تقتضي التخصيص بمعنى: ما يُضاف إلى الله منها يخصّه ويليق بجلاله وكماله -سبحانه وتعالى- وما يضاف إلى المخلوقين فعلى معنى يليق بالمخلوقين.

إذًا عُلم من ذلك أن من أسمائه -سبحانه وتعالى- ما يمكن أن يُسمّى به غيره لكن سنلاحظ ملاحظة: ألّا يُسمّى أحدًا باسم فيه نوع مشاركة لله، مثلًا أن يُسمّى (قاضي القضاة- ملك الملوك- حاكم الحكام- شاهٍ شاه) وهذا كله حفظًا للتوحيد وصيانة لجناب أسماء الله تعالى وصفاته ودفعًا لوسائل الشرك وسدًا لمنافذه كما ورد في الحديث: (إنَّ أخْنَعَ اسْمٍ عِنْدَ اللهِ رَجُلٌ تَسَمَّى مَلِكَ الأمْلاكِ.)[١] زادَ ابنُ أبِي شيبَةَ في رِوايَتِهِ (لا مالِكَ إلَّا اللَّهُ عزَّ وجلَّ.)

نكون بهذا قد انتهينا من قواعد الأسماء، ننتقل لأول قاعدة في الصفات، قال الشيخ:

[قواعدُ في صفات الله تعالى]

[القاعدةُ الأولى: صفاتُ الله تعالى كُلُّها صفاتُ كمالٍ لا نقص فيها]

(صفات الله تعالى كُلُّها صفاتُ كمالٍ لا نقصَ فيها بوجه من الوجوه:

كالحياةِ، والعلمِ، والقدرةِ، والسَّمعِ، والبصرِ، والرّحمةِ، والعزَّةِ، والحكمةِ، والعلوّ، والعظمةِ، وغيرذلك)

إذًا ابتدأ بإثبات أن صفات الله كلها صفات كمال، كما أن أسماء الله كلها أسماء حسنى، فكذلك صفاته كلها صفات كمال، ثم أتى الشيخ بأدلة تدل على أن صفات الله كلها صفات حسنى، قال:

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٢١٤٣).

(وقد دل على هذا: السَّمع والعقلُ والفطرةُ.

أما السَّمع: فمنه قوله تعالى: {لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الأَعْلَى وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}[1] والمثلُ الأعلى: هو الوصفُ الأعلى)

وهذا متبين عندما تعلم أن معنى كلمة (مثل) تأتي في كتاب الله بمعنى (الوصف) كما في سورة الرعد {مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ}[2] أي: وصف الجنة التي وعد المتقون.

قال الشيخ في بداية كلامه: (فمنه) أي: هذه أحد الأدلة السَّمعيّة فمعنى ذلك أن هناك أدلة أخرى سمعية تدل على أن صفات الله صفات كمال، هو اكتفى بهذا ونحن أيضًا سنكتفي به، وفي المراجعة إن شاء الله سنعود على كل النقاط ونأتي للأدلة التي قال فيها (فمنه) ونقوم بعملية الزيادة لكن أول شيء لابد من ضبط المتن.

نرى الآن الدليل العقلي، ولاحظوا في الدليل العقلي أنا أخاطب العقل فأبدأ معه بمسلّمات وأنتهي معه إلى نتائج هو يوافق عليها، فهو الآن ماذا قال له؟ قال:

(وأما العقل: فوجهُهُ أنَّ كلَّ موجودٍ حقيقةً فلا بدَّ أنْ تكونَ له صفةٌ، إما صفة كمالٍ وإما صفةُ نقصٍ)

وهذا أمر متفق عليه: أن كل شيء موجود حقيقة -وليس موجود في الذهن لأن الذهن خيال قد يتصور شيء بغير صفات وهذا حتى التصور صعب فيه- موجود على الحقيقة. له واحدة من حالتين:

---

(١) النحل: ٦٠.

(٢) الرعد: ٣٥.

- أن كل موجود حقيقة لابد أن تكون له صفة، وكما اتفقنا سابقًا لو قيل لك: عرّف الماء. ستقول: سائل لا لون له ولا طعم ولا رائحة يأخذ شكل الإناء. هذا معنى صفة، الهواء لا يُلمس ولا يُرى ولا يوزن مثلًا، فأنت مقتنع تمامًا أن كل موجود لابد له من صفة، يأتي بعد هذا التقرير أنها إما أن تكون صفة كمال أو صفة نقص، يعني إما صفة يُمدح عليها أو صفة يُذم عليها.

اترك كل شيء وتكلّم عن الرب، بما أنه الرب الكامل الذي تعتقد أنه يستحق العبادة. أنا الآن أكلم المخالفين وأقول لهم: ألا تعتقدون أن الله يستحق العبادة؟ لأنهم لا توجد عندهم مشكلة في توحيد الألوهيّة، بل مشكلتهم في توحيد الأسماء والصفات، فأقول لهم: ألا تعتقدون أن الرب مستحق للعبادة؟ الجواب: نعم، فإذا اعتقدت أن الرب مستحق للعبادة وكل موجود لابد له من صفة إما نقص أو كمال، فماذا تقول عن الرب المعبود؟ هل يمكن أن تكون له صفة نقص! وأنت تعتقد أنه مستحق للعبادة؟! لا، أنا لا أُكلم شخص كافر بل الكلام لشخص يعبد الله لكنه ينكر أن تكون لله -عزّ وجلّ- صفات كمال، أقول له:

- ألا تعتقد أن كل موجود حقيقة لابد له من صفة؟! يقول: نعم.

- الصفة في أي موجود ماذا تكون؟! إما نقص أو كمال.

فماذا تقول عن الرب المعبود؟! لا يمكن أن تقول: له صفة نقص! إذًا فالثاني باطل، قال الشيخ:

(والثّاني باطلٌ بالنسبة إلى الرَّبِ الكامِلِ المستحِقّ للعبادةِ)

إذًا هذا هو الدليل العقلي.

قال:

(فوجهُهُ أنَّ كلَّ موجودٍ حقيقةً فلا بدَّ أنْ تكونَ له صفةٌ إما صفةُ كمالٍ وإما صفةُ نقصٍ، والثاني باطلٌ بالنسبةِ إلى الرَّبِ الكامِلِ المستحِقِ للعبادةِ، ولهذا أظهَرَ الله تعالى بطلانَ ألوهيَّة الأصنامِ باتِّصافها بالنَّقصِ والعجزِ)

كأنك تقول: كأنك تستخدم الإثبات عندما تثبت طرف فلدّي ثلاثة معلومات أتي منها المعلومة الرابعة، الثلاث معلومات هي:

الأولى: أن الله -عزّ وجلّ- أظهر بطلان ألوهية الأصنام.

الثانية: كيف أظهر بطلان ألوهية الأصنام؟ عندما أظهر وصفها بالنقص والعجز.

الثالثة: أنت ماذا تعتقد في الرب؟ استحقاقه للألوهية.

إذًا هو موصوف بماذا؟ موصوف بصفات الكمال.

إذًا التقرير: إن الرب ألوهيته حقّ؛ لأنه كامل الصفات. وهذا هو الدليل العقليّ من ثلاث معلومات، وصلنا للمعلومة الرابعة.

قال:

(ولهذا أظهَرَ الله تعالى بطلانَ ألوهيَّة الأصنامِ باتِّصافها بالنَّقصِ والعجزِ، فقال تعالى: {وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ}[(١)])

---

(١) الأحقاف: ٥.

وصف النقص والعجز: {مَنْ لا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ} لذلك لا يستحقون الألوهية، أوصف الرب؟ هو وحده الذي يستحق العبادة لأنه سميع، بصير، عليم، حي، قيوم.

(وقال تعالى: {وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ}[١])

الحمد لله الذي بيّن لنا الحق ورزقنا التوحيد فإذا نظرت إلى وصف هؤلاء: أنهم لا يخلقون، أموات غير أحياء، لا يشعرون، وعلمت أن ربك العليم، الخلاق، الكريم، القريب، المجيب، الحيّ، القيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم؛ علمت أن وصفه كله كمال.

(وقال عن إبراهيم وهو يحتجُّ على أبيه: {يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لا يَسْمَعُ وَلا يُبْصِرُ وَلا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا}[٢]، وعلى قومِهِ: {أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلا يَضُرُّكُمْ أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلا تَعْقِلُونَ}[٣])

إذًا من كان له عقل، عَلِم أن من وُصِف بصفات النقص لا يستحق أن يكون إلـهًا.

ثم قال:

(ثم إنه قد ثبت بالحسِّ والمشَاهدةِ: أنَّ للمخلوقِ صفاتِ كمالٍ، وهي مِنَ الله تعالى، فمعطي الكمالِ أولى به)

---

(١) النحل: ٢٠-٢١.

(٢) مريم: ٤٢.

(٣) الأنبياء: ٦٦.

وهذا كأنه يعتبر الدليل الثالث، أي: دليل من السَّمع، من العقل، من الحس والمشاهدة.

قال:

(وأما الفطرة: فلأنَّ النفوسَ السليمةَ مجبولةٌ مفطورةٌ على محبة اللهِ وتعظيمِه، وهل تُحِبُّ وتُعَظِّمُ وتَعْبُد إلا من عَلِمَتْ أنه متَّصف بصفاتِ الكمال اللّائقةِ بربوبيّته وألوهيّته؟)

وهذا أمر معلوم: أن من تُرك على فطرته يَعلم أنَّ له إلهًا يتعلق به ويسأله ويرجوه وينتظر منه الخير، فمعناه أنه يتعلق بمن يعتقد أنه كامل الصفات، لكن حين تشوّه فطرهم ويأتي الطفل الصغير ويشاهد شيئًا مثل (ميكي ماوس) وعلى أنه يأتي من السماء وينقذ الناس، ويرى الناس بعين المجهر الكبيرة وإلى آخر ما يصفون! فهم وصفوا مثل هذا الفأر القذر بصفات الكمال وشوّهوا فطر هؤلاء الصغار، نسأل الله بمنه وكرمه أن يكشف عن أمة الإسلام جهلها به، نسأل الله أن يجعلنا ويجعل أنفاسنا وأيامنا ودقائقنا من أسباب كشف هذه الغمة عن أمتنا ونحن نعلم يقينًا أنه لا يكشف غمة الذل التي تعيشها الأمة إلا عودتهم إلى توحيده -سبحانه وتعالى- فنسأله أن يغفر لنا تقصيرنا فيما مضى وإهمالنا وعدم عنايتنا بأوقاتنا في نشر هذا التوحيد ونسأله أن يبارك لنا ما نستقبل من أيام فيجعلنا مباركين أينما كنا، ندعو إليه وإلى توحيده قدر ما يمكننا هو -سبحانه وتعالى- منه، نسأله أن يجعلنا أسبابًا لكشف هذه الغمة اللهم آمين.

ننظر الآن إلى القاعدة بنظرة أخرى، الشيخ عندما ذكر هذه القاعدة قال:

(صفاتُ الله تعالى كلُّها صفاتُ كمالٍ لا نقصَ فيها بوجهٍ من الوجوه)

إذًا الصفات الثابتة لله كلها صفات كمال لا نقص فيها بوجه من الوجوه، ثم نأتي ننظر أن الصفات التي وردت في كتاب الله والصفات الثابتة كلها صفات كمال لكن نريد الآن أن ننظر للقاعدة بنظرة أخرى نعود لكلامه: (صفاتُ الله تعالى كلُّها صفات كمال) ونكتب فوق القاعدة:

الصفات التي وردت في كتاب الله -في الكتاب والسّنة- تنقسم إلى ثلاثة أنواع:

١- (صفات كمال لا نقص فيها بوجه من الوجوه).

٢- (وإذا كانت الصفة نقصًا لا كمال فيها فهي ممتنعة في حق الله تعالى) ثم ضرب أمثلة على صفات النقص الممتنعة قال: (كالموت، والجهل، والنسيان، والعجز، والعمى، والصمم، ونحوها) هذه كلها ممتنعة في حق الله، أي: ستأتي في كتاب الله منفية عن الله، الصفات السابقة تأتي في كتاب الله مثبتة له.

الآن سيذكر فيما يأتي الأدلة على أن صفات النقص ممتنعة على الله:

الشيخ هنا ذكر ثلاثة أنواع من الأدلة التي تدل على أن صفات النقص ممتنعة على الله -عزّ وجلّ- لكن كلها أدلة سمعية -أي: من القرآن-، لكن ثلاثة أنواع من الأدلة سمعية.

ذكر الأدلة على أن صفات النقص ممتنعة على الله

النوع الأول من الأدلة: الآيات التي فيها نفي صفات النقص عن الله.

قال: (لقولِه تعالى: {وَتَوَكَّلْ عَلَى الحيِّ الَّذِي لا يَمُوتُ}[١])

أين وجه الدلالة؟ في نفي الموت لأن الموت فيه نقصٌ وعجزٌ والله منزّه عن ذلك.

أيضًا أتى بدليل آخر قال: (وقوله عن موسى: {فِي كِتَابٍ لا يَضِلُّ رَبِّي وَلا يَنْسَى}[٢])

فهنا نفي للضلال والنسيان، فنفي الجهل والنسيان عن الله دليل على أنه لا يوصف إلا بالكمال، لكن قد يسأل سائل هنا فيقول: إن الله أثبت لنفسه النسيان فقال: {نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ}[٣] فهذا دليل على أنه وصف نفسه بالنسيان فماذا نقول؟ نقول: النسيان في لغة العرب له معنيان:

- الذهول عن الشيء لضعف العلم وقصوره كما يحصل للناس، والنسيان بهذا المعنى منفيّ عن الله {وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا}[٤]

- المعنى الثاني للنسيان عند العرب: ترك الشيء عن عمدٍ وقصد للعقوبة وليس بمعنى التّناسي إنما بمعنى الترك لأنه أين يأتي النسيان؟ في قوله: {فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ}[٥] فهي صفة مقيدة وسيأتينا الكلام عنها. إذًا النسيان المنفي عن الله بمعنى: الذهول.

---

(١) الفرقان: ٥٨.

(٢) طه: ٥٢.

(٣) التوبة: ٦٧.

(٤) مريم: ٦٤.

(٥) السجدة: ١٤.

أيضًا أتى بآية ثالثة فقال: (وقوله: {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ إنه كان عليمًا قديرًا}[1])

هذه الآية نفت العجز لكن مناقشتها ستتضح معكم في القاعدة الثالثة.

(وقوله: {أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ}[2])

ما هو المنفي الآن؟ {أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ} إذًا المنفي أنه لا يسمع سرّهم. بمعنى أنه لا يسمع منهم إلا العلانية هم يحسبون أنه -سبحانه وتعالى- لا يسمع سرّهم ونجواهم.

(وقال النبي -صلّى الله عليه وسلّم- في الدَّجال: (إنَّه أعْوَرُ، وإنَّ رَبَّكُمْ ليسَ بأَعْوَرَ)[3])

هذا دليل على نفي العور وثبوت العينين لله تعالى.

(وقال: (يا أيُّها النَّاسُ ارْبَعُوا علَى أنْفُسِكُمْ، فإنَّكُمْ لا تَدْعُونَ أصَمَّ ولَا غَائِبًا)[4])

هنا أيضًا نفي للصمم.

فهذا كله دليل على أن صفات النقص ممتنعة في حق الله لأن الله نفى عن نفسه في كتابه صفات النقص، فهذا النوع الأول من الأدلة التي تدل على أن صفات النقص ممتنعة في حق الله.

---

(١) فاطر: ٤٤.

(٢) الزخرف: ٨٠.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٧١٣١).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه (٢٩٩٢).

النوع الثاني من الأدلة:

(وقد عاقب الله تعالى الواصفين له بالنَّقص، كما في قوله تعالى: {وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ}[1])

العقوبة الأولى: {غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ} هذا الآن الرد عليهم أن الله سيفعل بهم هذا الفعل، ونعم، عندما تقرأ في تاريخ اليهود لا ترى أمة ابتليت بالبخل مثلهم.

العقوبة الثانية: {وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا} كل هذه العقوبات لأنهم وصفوا الله بأن يده مغلولة وهو -سبحانه وتعالى- الكريم الذي يشهد كل العباد على كرمه، العاطي الذي نعيش في فضله ومنته فكيف قست القلوب فقلبت الحقائق {وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ}.

إذًا وصف الله بالنقص موجب لسخطه وغضبه وعقابه.

(وقوله: {لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ}[2]) .

هذا من التهديد.

وبذلك انتهى النوع الثاني من ذكر الأدلة على أن صفات النقص ممتنعة عن الله.

---

(١) المائدة: ٦٤.

(٢) آل عمران: ١٨١.

النوع الثالث من الأدلة:

(ونزّهَ نفسَهُ عمَّا يصفونه به من النَّقائصِ، فقال سبحانه: {سُبْحَانَ رَبِّكَ ربّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ ربّ الْعَالَمِينَ}[1])

فلما نزّه نفسه عما قاله المخالفون سلّم على المرسلين لسلامة ما قالوه من النقص والعيب.

ما معنى نزّه نفسه (ونزّه نفسه عما يصفون به)؟ التنزيه: نفي النقائص عن الله -عزّ وجلّ- ونفي مماثلة المخلوقين.

إذًا التنزيه نوعان:

تنزيه عن العيوب.

تنزيه عن المماثلة.

وأنتم تعلمون أن من أسمائه: السّبوح، القدوس، السلام. فهذه الأسماء كلها دائرة حول التنزيه.

فإذًا هو منزّه عما يقوله في حقه أهل الباطل، في مقابل أن رسله وصفهم الله أن كلامهم عنه سالم وهذه الآية إذا يسّر الله لنا ودرسنا الواسطية وأمد في أعمارنا وبارك في الجهود؛ سيكون فيها تعليق: أني أستخدم هذه الآية عندما أُثبت أنه بما أن الرسول قال؛ إذًا كلامه سالم والله -عزّ وجلّ- سلّم على المرسلين يعني كلامهم سالم، فبمجرد

(١) الصافات: ١٨٠.

أن الرسول قال الأمر مباشرة نثبت الصفة لأن الله سلّم عليهم، إن شاء الله يتيسر لنا ويبلغنا الله بفضله وكرمه دراسة الواسطية.

(وقال تعالى: {مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ}[1])

وهذه الآية بنفس معنى الآية الأولى من جهة تنزيه الله عما يصفه به أهل الباطل من النقائص.

وبهذا نكون انتهينا من النوع الثاني.

كنا قلنا: إن الصفات التي وردت في كتاب الله ثلاثة أنواع:

١- (صفات كمال لا نقص فيها بوجه من الوجوه).

٢- (وإذا كانت الصفة نقصًا لا كمال فيها فهي ممتنعة في حق الله تعالى).

نأتي الآن إلى النقطة الثالثة:

٣- (وإذا كانت الصفةُ كمالًا في حالٍ، ونقصًا في حال لم تكن جائزةً في حق الله، ولا ممتنعةً على سبيل الإطلاق، فلا تُثْبَت له إثباتًا مطلقًا، ولا تُنْفَى عنه نفيًا مطلقًا، بل لا بد من التفصيل)

أي أن هذه الصفات ليست بنفسها ناقصة، ليست مثل التي مضت، التي مضت -الثانية- فهي صفات نقص لا كمال فيها أبدًا وهي مباشرة منفية عن الله، لكن هذا النوع

---

(١) المؤمنون: ٩١.

الصفة لا أستطيع أن أحكم عليها: هل هي كمال أو نقص؟ ففي حال تكون كمال وفي حال تكون نقص، فقال: (**فلا تُثْبَت له إثباتًا مطلقًا، ولا تُنْفَى عنه نفيًا مطلقًا.**)

(**فتجوزُ في الحالِ التي تكون كمالًا**)

فكأنه يأتي السؤال: ما هي الحال التي تكون كمال؟ سيجيب عن هذا...

(**وتمتنعُ في الحالِ التي تكون نقصًا**)

أيضًا يأتي سؤال: متى الحال التي تكون نقصًا؟ فبدأ بضرب المثل ثم بيّن متى تكون كمالًا ومتى تكون نقصًا فقال:

(**وذلك كالمكْرِ، والكيدِ، والخداعِ، ونحوها**)

هذه بنفسها ليست صفات نقص مطلقًا لكن صفات قد تكون كمالًا في حال وفي حال أخرى تكون نقصًا.

فيذكر الآن متى تكون كمال فقال: (**فهذه الصفاتُ تكونُ كمالًا إذا كانت في مقابلةِ مَن يعاملون الفاعلَ بمثلها**)

لو يوجد أحد يمكر بك، يخادعك، يكيد لك، وإذا كشفت له أنك كشفته سيدير الطاولة عليك! سيأتيك من جهة لا تنتبه لها! فهؤلاء القوم تحتاج أن تعاملهم بأسلوب معين من أجل أن تُنجّي نفسك وليس لأجل أن تعتدي عليهم، الآن في الحرب هل أكشف لعدوي ما معي وأقول: هذا من باب الصدق والإخلاص؟! لا، إنما الحرب خدعة، فإذًا إذا تأملت موقف مثل موقف علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- عندما خرج للمبارزة في أحد الحروب فلما خرج من يبارزه من الصف الثاني قال: أنا خرجت لأبارز رجل لا لأبارز

رجلان. فالتفت الرجل الذي خرج؛ ليرى من أتى وراءه. فقتله عليّ رضي الله عنه، إذًا معنى ذلك أن هذه الصفات تكون كمالًا إذا كانت في مقابلة من يعاملون الفاعل.

(لأنّها حينئذٍ تدل على أن فاعلها قادرٌ على مقابلة عدوّهِ بمثل فعله، أو أشدَّ، وتكون نقصًا في غير هذه الحالِ)

إذًا أجاب الشيخ السؤال الذي يقول: متى تكون كمالًا ومتى تكون نقصًا؟ في حال مقابلة من يفعلون هذا الفعل تكون كمالًا، لكن في غير هذه الحال لا تكون كمالًا.

(ولهذا لم يذكرها الله تعالى من صفاتِه على سبيل الإطلاق)

يعني المكر، الخداع، الكيد ليست مذكورة في صفاته على سبيل الإطلاق، هذه الجملة مهمة (على سبيل الإطلاق) استخدمها وأبدأ القاعدة بها.

(و إنما ذكرها في مقابلةِ مَنْ يعاملونهُ ورسلَهُ بمثلها)

وأتى -رحمه الله- بالأمثلة فقال:

(كقوله تعالى: {وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ}(١)

وقوله: {إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا وَ أَكِيدُ كَيْدًا}(٢)

وقوله: {وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُونَ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ}(١)

---

(١) آل عمران: ٥٤.

(٢) الطارق: ١٥.

وقوله: {إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ}[2]

وقوله: {قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ}[3])

أتى الشيخ الآن يفرّق لك بين النوع الثاني والثالث بين أن تكون الصفة نقصًا مطلقًا وبين أن تكون كمالًا في حال دون حال فقال:

(ولهذا لم يذكر الله أنه خانَ من خانُوهُ، فقال تعالى: {وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ}[4] فقال: {فأمكن منهم} ولم يقل: فخانهم؛ لأن الخيانةَ خِدعةٌ في مقامِ الائتمان وهي صفة ذم مطلقًا.)

هم فعلهم الخيانة لكن الله -عزّ وجلّ- لا يوصف بهذا لأن الخيانة: خدعة في مقام الائتمان وهي صفة ذم مطلقًا أما الخداع فهو: خداع في موطن الخداع وعدم الائتمان مثل الحرب لكن الخيانة أن تخون جارك الذي يأتمنك، أخوك وصاحبك الذي يُسايرك، مَن وضع عندك سرّه، الخيانة معناه: أن هذا موطن ائتمان وآخر يخون، لكن الخداع هذا موطن عدم ائتمان، يعني هناك فرق بين جارك وبين عدوك، فرق بين أهلك وبين شخص بينك وبينه حرب {وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ منهم} وفي الخداع {إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ}.

قال: (وبذا عُرف أن قول بعض العوامِّ: (خان الله من يخون.) منكرٌ فاحشٌ يجب النهي عنه)

---

(١) الأعراف: ١٨٢.

(٢) النساء: ١٤٢.

(٣) البقرة: ١٤-١٥.

(٤) الأنفال: ٧١.

وهذا منتشر في الخليج قول: (خان الله من يخون) فلابد من إنكاره لأن الله ليس من وصفه الخيانة بل هذه من صفات الخيانة التي يجب أن تنفى عنه.

إذًا تبيّن لنا أن:

- صفات الله تعالى المثبتة له مطلقًا -هذا قيد- صفاتٌ كمال لا نقص فيها بوجه من الوجوه.
- صفات النقص كلها منفية عن الله.
- الصفات المنفية في حال ومثبته في حال، مثبتة على وجه التقييد.

[القاعدةُ الثَّانيةُ: بابُ الصِّفات أوسع من باب الأسماء]

ما دليلك على ذلك؟ استخدم الدليل العقلي لإثبات ذلك، قال: (**وذلك: لأن كل اسم متضمّنٌ لصفةٍ**)

وليس العكس، أي ليس كل صفة يُثبت منها اسم، بل بعض الأسماء يتضمن أكثر من صفة، فإذا تأملت أنواع من أسماء الله ستجد أن من أسمائه: المجيد، العظيم. وهذه الأسماء فيها صفات مجتمعة، إذًا كل اسم من أسمائه متضمّن لصفة بل بعض الأسماء تتضمن أكثر من صفة فقال: (**لأنَّ كل اسم متضمّنٌ لصفةٍ، كما سبق في القاعدة الثالثة من قواعد الأسماء.**)

السبب الثاني الذي يجعل باب الصفات أوسع من باب الأسماء قال:

(ولأنَّ من الصِّفات ما يتعلق بأفعال الله تعالى، و أفعاله لا منتهى لها)

سيأتينا بعد ذلك أن لله -عزّ وجلّ- صفات ذاتيَّة وصفات فعليَّة، أفعال الله لا منتهى لها: يرزق، يحي، يميت، يأخذ. هناك شيء أنت تعلمه وهناك ما لا تعلمه، فصفات الله -عزّ وجلّ- منها صفات متعقلة بأفعاله وأفعاله لا منتهى لها، ومن بين أفعاله الكلام، قال الشيخ:

(كما أن أقوالَه لا منتهى لها)

وأقواله من أفعاله يعني سواء كانت أقواله التي بها يأتي الأمر الشرعي أو أفعاله التي يأتي بها الشيء القدري، فيقول للشيء: كن فيكون، فكما أن أقواله لا منتهى لها فعلى هذا ستقول: إن أفعاله لا منتهى لها.

ثم أتى بأدلة على أن أقواله لا منتهى لها، آية لقمان:

(قال الله تعالى: {وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ})

هذا يدل على أن كلام الله لا ينفذ فلا منتهى له والمقصود: كلامه القدري. يعني أن يقول للشيء: كن فيكون.

(ومن أمثلة ذلك:)

من أمثلة ما يدل على أن الصفات أوسع من الأسماء. الآن يريد أن يبيّن أن الصفات أوسع من الأسماء؛ لأن كل اسم متضمن لصفة وليس العكس وهنا سيبين لك ذلك، فقال:

(أنَّ من صفات الله تعالى: المجيءُ، والإتيانُ، والأخذُ، والإمساكُ، والبطشُ، إلى غير ذلك من الصفات التي لا تحصى كما قال تعالى: {وَجَاءَ رَبُّكَ}[1] -فعل المجيء-

وقال: {هَلْ يَنْظُرُونَ إِلاّ أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ}[2] -فعل الإتيان-

وقال: {فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ}[3] -فعل الأخذ-

وقال: {وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الأَرْضِ إِلاّ بِإِذْنِهِ}[4] -فعل الإمساك، كلها أفعال لا منتهى لها-

وقال: {إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ}[5] -أتت بالمصدر هنا: البطش، لم تأت بالفعل: يبطش-

وقال: {يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ}[6] -فعل الإرادة-

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: (ينزلُ ربُنا إلى السماءِ الدّنيا)[7] -فعل النزول هذه كلها أفعال-، قال:

(فنصفُ الله تعالى بهذه الصِّفاتِ على الوجه الوارد، ولا نسمّيه بها، فلا نقولُ: إن من أسمائه الجائي، والآتي، والآخذُ، والممسكُ، والباطشُ، والمريدُ، والنازلُ، ونحو ذلك، وإن كنا نخبر بذلك عنه ونصفه به)

---

(١) الفجر: ٢٢.

(٢) البقرة: ٢١٠.

(٣) الأنفال: ٥٢.

(٤) الحج: ٦٥.

(٥) البروج: ١٢.

(٦) البقرة: ١٨٥.

(٧) أخرجه ابن ماجه (١٣٩٠)، وابن أبي عاصم في (السنة) (٥١٠)، وابن عساكر في (تاريخ دمشق) (٣٢٧/١٨) واللفظ له

نصفه بهذه الصفات لكن لا نسميه، وفي هذا دليل على أن الصفات أوسع من الأسماء فليس كل وصف وُصِف الله به يُسمى به لكن كل اسم لابد أن يكون متضمن لصفة بل لأكثر من صفة.

[القاعدةُ الثالثةُ: صفات الله تعالى تنقسم إلى قسمين: ثبوتيةٌ وسلبيةٌ]

فالثبوتيَّة: ما أثبت الله تعالى لنفسه في كتابه أو على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم، وكلُها صفاتُ كمالٍ لا نقص فيها بوجه من الوجوه، كالحياةِ، والعلمِ، والقدرةِ، والاستواءِ على العرش، والنزولِ إلى السماء الدنيا، والوجهِ، واليدينِ، ونحو ذلك)

هذا تقسيم الصفات التي يُوصف الله بها:

- فهناك صفات نسميها: ثبوتية فتُثبت لله.
- وهناك صفات سلبية ننفيها عن الله، فالله -عزّ وجلّ- يوصف بها بالنفي فتُنفى عنه.

عرّف الثبوتيَّة فقال: (**ما أثبت الله تعالى لنفسه في كتابه أو على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم، وكلُها صفاتُ كمالٍ لا نقص فيها بوجه من الوجوه، كالحياةِ، والعلمِ، والقدرةِ، والاستواءِ على العرش، والنزولِ إلى السماء الدنيا، والوجهِ، واليدينِ، ونحو ذلك)**

معنى ذلك أن النوع الثالث لا يدخل فيها التي هي كمال في حال ونقص في حال لأن الصفات الثبوتيَّة التي هي صفات كمال لا نقص فيها بوجه من الوجوه.

(فيجبُ إثباتها لله تعالى حقيقةً على الوجه اللائقِ به، بدليل السَّمع والعقل)

إذا سُئلت: ماذا يجب عليك أن تعتقد؟ ستقول:

١- إثباتها لله تعالى.

٢- حقيقة.

٣- على الوجه اللائق به.

سنبدأ بالدليل السَّمعي:

فقال: (أما السَّمع: فمنه

قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالا بَعِيدًا}[(١)])

إذًا هذه الآية فيها أمر للمؤمنين بأن يؤمنوا بالله وبالرسول وبالكتاب.

(فالإيمانُ باللهِ يتضمَّن: الإيمانَ بصفاتِهِ)

إذًا الإيمان بالله يتضمن الإيمان بصفاته، فبما أنك أُمرت أن تؤمن بالله فالله -عزّ وجلّ- كما تعلم له صفات فلا يوجد موجود إلا وله صفة، وأنت تعلم مادام أنه معبود

(١) النساء: ١٣٦.

إذًا لا يمكن أن تكون صفته صفة نقص بل صفته صفة كمال، إذًا الإيمان بالله يتضمن الإيمان بصفاته.

(والإيمانُ بالكتابِ الذي نَزَّلَ على رسوله -صلّى الله عليه وسلّم- يتضمن: الإيمانَ بكلِّ ما جاء فيه من صفات الله)

أنت تؤمن بالكتاب الذي نزّل على رسوله، والكتاب الذي نزّل على الرسول فيه وصف الله إذًا يجب عليك أن تؤمن بكل ما جاء فيه من صفات الله.

(وكونُ محمدٍ -صلّى الله عليه وسلّم- رسولَهُ يتضمَّن: الإيمانَ بكل ما أخبر به عن مُرْسِلِهِ، وهو الله عزَّوجلَّ)

إذًا مادام أنك أمرت أن تؤمن بالله وبرسوله وبالكتاب كل هذه الثلاث تتضمن الإيمان بصفاته، فإيمانك بالله بتضمن الإيمان بكتابه، وإيمانك بالكتاب يتضمن إيمانك بالصفات التي أتت في الكتاب، وإيمانك بالرسول يتضمن الإيمان بكل ما أخبر به عن مُرسِله.

يأتي الآن الدليل العقلي على أن ما أثبته الله تعالى يجب علينا أن نثبته على الوجه اللائق، قال:

(وأمَّا العقلُ: فلأن الله تعالى أخبربها عن نفسه)

الآن لماذا تقول: لا نؤمن بصفات الله ولا نثبتها؟! ألا تعلم أن الله أخبر بها عن نفسه.

قال: (وهو أعلم بها من غيره) هل أنت تعلم عن صفات الله أم الله أعلم بصفاته؟! هو أعلم بها عن غيره.

قال: (**وأصدق قيلًا**) فلأن الله تعالى أخبر بها عن نفسه وعندما تسمع عن وصفه تعلم أنه أعلم بها عن غيره، فهو الذي وصف نفسه فهل أنت تعلم عنه أكثر من نفسه؟! هذا باطل بل هو أعلم بصفاته من غيره.

قال: (**وأصدق قيلًا، وأحسن حديثًا من غيره**)

وهذه الصفات هي صفات قبول الكلام فإذا علمت أن المتكلّم بالكلام عالمٌ به صادقٌ، أحسن حديثًا؛ قبِلت منه، فهل تعلم أعلم من الله؟ وهل تتصور أحدًا أصدق قيلا من الله؟ وهل تعتقد أن هناك أحسن حديثًا من الله؟ هذا كله باطل، فبما أن الله أخبر بها عن نفسه وهو أعلم بصفاته عن غيره وأحسن حديثًا وأصدق قيلًا فوجب إثباتها له كما أخبر بها من غير تردد ويجب عليك إثباتها.

(**فوَجَبَ إثباتها له كما أخبرَ بها من غير تردُّدٍ، فإن التردُّد في الخبر إنما يتأتَّى حين يكون الخبرُ صادرًا ممَّن يجوز عليه: الجهلُ أو الكذب أو العيّ**)

وأنت تعلم أن الله -عزّ وجلّ- علاّم الغيوب، عالم الغيب والشهادة والتردد في الخبر قد يكون سببه الكذب وأنت تعلم أنه أصدق قيلًا، أو العيّ بمعنى: العجز عن التعبير وأنت تعلم أنه أحسن حديثًا.

(**بحيث لا يفصح بما يريد، وكلُّ هذه العيوب الثلاثةِ ممتنعةٌ في حقِّ الله عزَّوجلَّ، فوجب قَبولُ خبره على ما أخبر به، وهكذا نقولُ فيما أخبر به النبي -صلّى الله عليه وسلّم- عن الله تعالى**)

يعني أنت يأتيك الخبر من الله ومن رسوله، عن الله وعن صفاته، فأنت تعلم أن:

(النبي -صلّى الله عليه وسلّم- أعلم الناس بربه، وأصدقَهُم خبرًا، و أنصَحُهم إرادة، -فهو لا يريد أن يغشّك- و أفصَحُهم بيانًا، فوَجَبَ قَبولُ ما أخبر به على ما هو عليه)

إذًا هذا الدليل العقلي لقبول أخبار الله عن نفسه ولقبول أخبار الله التي وردت على لسان نبيه، فإذا قبلتها أثبتها له حقيقة على الوجه اللائق به.

(والصِّفات السَّلبيَّة: ما نفاها الله سبحانه عن نفسه في كتابه، أو على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم، وكُلُّها صفات نقص في حقّه)

كلمة (في حقّه) تبين لك: أن الصفات التي تكون نقصًا قد تكون في حق غيره كمالًا فإذا قلنا: الولد والنوم. هذه في حق البشر صفات كمال أما في حقّه فهي صفات نقص، فإذا عُلم هذا تبيّن أن صفات النقص هذه تُسلب عن الله أي: تُنفى عنه، قال:

(كالموتِ، والنومِ، والجهلِ، والنسيانِ، والعجزِ، والتَّعبِ)

فإذا سألت: ماذا يجب أن أفعل في هذه الصفات؟ فنقول :

(فيجب نَفْيُها عن الله تعالى-لما سبق-) (مع إثبات ضدها) (على الوجه الأكمل)

فهذه ثلاثة أفعال ستفعلها: نفيها -إثبات كمال الضد- على الوجه الأكمل.

في الصفات الثبوتيَّة: إثباتها لله -حقيقة- على الوجه اللائق.

الآن سؤال: ما دليلك؟ قسّم الشيخ الأدلة إلى قسمين: القسم الأول قال: (فيجب نَفْيُها عن الله تعالى) ما دليلك على أنه يجب نفيها؟ نستخدم كلمة (لما سبق) أين سبق؟ في الدليل السَّمعي الذي استخدمه في إثبات الصفات الثبوتيَّة يعني نفس الدليل الذي

به نستدل على أنه يجب علينا إثبات الصفات الثبوتيَّة هو نفسه الذي نستخدمه لنفي الصفات المنفية، كيف؟

فسنقول ألم يقل الله لك: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ} ستقول: نعم، سنقول: إيمانك بالله يتضمن الإيمان بما نفاه الله عن نفسه فأنت في المرة الأولى تثبت لله ما أثبته لنفسه- في الصفات الثبوتيَّة- عندما تأتي الصفات المنفية إيمانك به سيكون بأن تنفي عن الله ما نفاه عن نفسه، إيمانك بالكتاب نفس الأمر في الأول ستثبت له ما أثبته لنفسه وفي الصفات السلبية ستنفي عنه ما نفاه عن نفسه، إيمانك بالرسول نفس الأمر في الثبوتيَّة ستثبت ما أثبته الله الرسول لله، وفي السلبية من إيمانك بالرسول أن تنفي عن الله ما نفاه عن نفسه.

فإذا قال لك أحد: هل تؤمن بأن الله لا تأخذه سِنة ولا نوم؟ ستقول: نعم، أنا أنفي عن الله السّنة والنّوم لأن الله وصف نفسه في كتابه بهذا فهل أنا أعلم بالله من الله؟! وهل أنا أصدق قيلًا منه؟! وهل أنا أحسن حديثًا منه؟ لا والله! ولا نعتقد في أنفسنا هذا - أسأل الله يزيدنا ذلًا وانكسارًا بين يديه وتعظيمًا له- فهل تعتقد أنك أعلم من النبي -صلّى الله عليه وسلّم- ؟! وهل تعتقد أنك أصدق خبرًا من النبي -صلّى الله عليه وسلّم- ؟ أنك أنصح لنفسك وللناس من النبي؟ الجواب: لا، إذًا أثبت لله ما يثبته لنفسه وانفِ ما ينفيه عن نفسه إن كنت مؤمنًا به وبكتابه وبرسوله وإن كان عندك عقل تفكر به فالله -عزّ وجلّ- أخبر عن نفسه بهذه الصفات وهو أعلم بنفسه وأعلم بغيره وهو أصدق قيلًا وأحسن حديثًا، فلا تفقد عقلك بتقديمه على خبر الله عن نفسه.

هكذا انتهينا من الشق الأول من معتقدنا في الصفات السلبية، قسّمنا معتقدنا إلى قسمين: أنه يجب نفي الصفة السلبية.

مع إثبات ضدها على الوجه اللائق.

بقي (إثبات ضدها) على الوجه اللائق وهذا أمر لا تستسهله لأن كثيرًا من الناس يقول: ننفي عن الله الصفة التي نفاها لكن من أين لكم أن تقولوا أنه يجب إثبات ضدها على الوجه اللائق؟ وعلى الأغلب من يتكلّم بذلك يكون لديه لوثة من الأشعرية فيكون الأمر مختلطًا عليه فيأتي هنا ويقول لك: لماذا تثبتون كمال الضد؟ لأنه أصلًا لا يثبت الصفات، فعندما تقول: سأثبت كمال الضد. يقول لك: لا، إذا أثبتّ كمال الضدّ؛ ستقول على الله بلا علم! هو يتصور ذلك، من أجل ذلك تعرضنا للأشعرية قوي سواء كان في الخليج أو في شمال أفريقيا أو حتى في أرض الشام -نسأل الله -عزّ وجلّ- أن يطهر بلادكم وبلادنا وبلاد المسلمين من هذا كله- لكننا أمام واقع -نسأل الله أن يزيله- أن الأشعرية مثل الأخطبوط تمد أيديها لعامة الناس قبل خواصهم فتجد كثيرًا من الناس متخبطين في معتقدهم تجاه الله، وتجد كثيرًا من أهل السّنة يأتيهم من يتكلّم عن أسماء الله -عزّ وجلّ- فيُقبلوا عليه بدون تميز هو يتكلّم بأي معتقد.

على كل حال يجب عليكم إتقان هذا الجزء، نسأل الله أن يشرح صدوركم ويفتح عليكم ويبين لكم مراده.

الآن يريد الشيخ أن يثبت بدليل اللغة، يريد أن يبين لك: لماذا عندما ننفيها نثبت كمال الضد؟ لماذا نثبت الضد أصلًا؟ قال:

(وذلك لأن ما نفاه الله تعالى عن نفسه فالمراد به بيانُ انتِفائه لثبوتِ كمال ضدّه لا لمجرَّد نَفْيِه)

أي أن الله -عزّ وجلّ- عندما نفى عن نفسه صفات النقص ماذا كان يريد؟ هل مجرد بيان الانتفاء؟ أم لثبوت كمال الضد؟ يعني النفي أُريد به المدح، وليكون النفي مراد به المدح لابد من إثبات كمال الضد.

لماذا لا يكفي مجرد النفي؟ قال:

(لأن النفي ليس بكمال إلا أن يتضمن ما يدل على الكمال، وذلك لأن النفي عدم، والعَدَمٌ ليس بشيء فضلًا عن أن يكون كمالًا)

يعني أنت عندما تنفي شيئًا فقد تعدمه أنه ليس موجودًا فكل ما تفعله أنك تنفي وجوده، فهل مجرد نفي وجوده معناه أن الموجود كمال؟ لا، عندما تنفي وجود شيئًا فهذا لا يعني أن ما بقي ولم ينفَ كمال.

ثم أتى بالسبب الآخر فقال:

(ولأن النَّفي قد يكون لعدم قَابلية المحل له فلا يكون كمالًا، كما لو قلت: الجدار لا يظلم.)

فعندما تأتي مثلًا وتنفي الظلم عن الجدار هل النفي هنا مدح للجدار؟ لا، ليس مدحًا لأن الجدار لا يستطيع هذا الأمر فنفي الأمر عنه ليس مدحًا له لعدم قابلية المحل للقيام بهذا الفعل.

(وقد يكون للعجز عن القيام به فيكون نقصًا)

يعني المحل قابل لكن عاجز عن القيام فيكون نقصًا يعني تنفي عنه صفة لأنه عاجز عن القيام بها فيكون النفي هنا ليس كمالًا وليس عدمًا بل كمال نقص.

(كما في قول الشاعر:

قُبَيِّلَةٌ لا يغدرون بذمّة، ولا يظلمون الناس حبة خردل)

هل هذا مدح أم ذم؟ مجرد النفي قد تتصور أنه مدح لكن عندما أتى بكلمة (**قُبَيِّلَةٌ**) فهمت أنه صحيح أنه نفى والسياق قد تتصور منه المدح لكن نفى عنهم لعجزهم فيكون النفي هنا للعجز وليس للدلالة على الكمال يعني عندما تريد أن تنام مثلا ثم تأتي الصباح فتقول: لم أنم. هذا الآن مدح أم ذم للحالة التي كنت فيها؟ هذا في حقك أنت يعتبر ذم يعني أنت أتيت للشكوى فتقول: حصل لي نقص لأني لم أنم فنفي النوم عنك لم يكن كمالًا، لماذا نفي النوم عن الله يكون كمالًا؟ لأنك ستقول: سننفي عنه النوم ونثبت له كمال القيوميّة، إذا لم تقل جملة: (نثبت له كمال القيوميّة) قد يصبح النفي في حقه نقص.

إذًا ليس كل نفي يراد به الكمال فقد يكون النفي عدم فقط يعني قلت هذه الصفة لا تكون في هذا الشيء فقط فلم تمدح ولم تذم، وقد تنفي صفة عن أحد لأنه غير قابل لهذا الأمر، أو نفيت الصفة لنقص في المنفي عنه.

(**وقول الآخر: لكن قومي وإن كانوا ذوي حسب، ليسوا من الشر في شيء وإن هانا**)

يهجوهم أن هؤلاء القوم لا يستطيعون الشر ليس لكمالهم إنما لضعفهم فأتي النفي فيه دلالة على النقص على العجز من القيام بهذا الأمر.

إذًا عندما تنفي عن الله النقص لابد أن تثبت كمال الضد لأن الله عندما نفى عن نفسه فالمراد بهذا النفي بيان الانتفاء لثبوت كمال الضد.

لماذا لابد من ثبوت كمال الضد؟ لأنك لا تتصور أن كل نفي يدل على الكمال مجرد نفيك لا يدل على الكمال لابد عند نفيك تبين أنك تريد كمال الضد (**قُبَيِّلَةٌ لا يغدرون بذمّة، ولا يظلمون الناس حبة خردل**) هذا الآن واضح أن الكلام كمال لكن يستخدم هذا النفي لإبراز النقص وهذه في لغة العرب، فيجب أن تفهم أنه ليس كل نفي كمال.

ليس كل نفي يدل على الكمال، قد يدل النفي أولًا على العدم المحض، أو يأتي النفي لعدم قابلية المحل، وقد يأتي النفي للعجز عن القيام بهذه الصفة فيكون نقصًا فعندما تقول مثلًا: أنا لا أنام. فقد تكون مريضًا، فأنت نفي النوم عن نفسك ليس دليل على كمالك لكن عندما أقول: الله -عزّ وجلّ- لا ينام ولا ينبغي له النوم. لابد عندما تنفي أن تقول: لابد من إثبات كمال قيوميته.

(مثال ذلك: قوله تعالى: {وَتَوَكَّلْ عَلَى الحيّ الَّذِي لا يَمُوتُ}[1]. فنفي الموت عنه يتضمن كمال حياته)

لأنه قال: {وَتَوَكَّلْ عَلَى الحيّ الَّذِي لا يَمُوتُ} فنفيت الموت وأثْبَتَّ كمال الحياة.

(مثال آخر قوله تعالى: {وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا}[2] نفي الظلم عنه يتضمن كمال عدله)

هذا نفي للظلم وإثبات كمال العدل لأنه قال: {وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا} قد يدل على العجز لأنه لا يستطيع أن يظلم أحدًا مثل قوله: (قُبَيِّلَةٌ لا يغدرون بذمّة، ولا يظلمون الناس حبة خردل) نقول لا {وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا} لكمال عدله.

نأتي الآن لآية فاطر التي سبق أن مرّت معنا في القاعدة:

(مثال ثالث: قوله تعالى: {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ}[3])

---

(١) الفرقان: ٥٨.

(٢) الكهف: ٤٩.

(٣) فاطر: ٤٤.

انظر لهذه الآية في القاعدة الأولى، نفى الله عن نفسه العجز وأثبت لنفسه كمال العلم والقدرة لأن العجز يأتي من نقص العلم ونقص القدرة، أنت الآن كل صفات النقص المنفية عن الله لابد أن تثبت كمال الضد، ففي آية فاطر هذه أتاك في نفس السياق ما يدل على أنه لابد من إثبات كمال الضد فقال: {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ} فنفي العجز عنه يتضمن كمال علمه وقدرته) ثم أثبت وقال: (ولهذا قال بعده: {إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا})

تنفي العجز وتثبت كمال العلم وكمال القدرة، لماذا؟

(لأنَّ العجزَ سببه: إمَّا الجهلُ بأسبابِ الإيجاد، وإمَّا قُصورُ القدرةِ عنه، فلكمالِ علم الله تعالى وقدرته لم يكن ليعجزه شيء في السماوات ولا في الأرض.

وبهذا المثال علمنا أن الصفة السلبيَّة قد تتضمَّن أكثر من كمال)

بهذا انتهينا من القاعدة الثالثة من قواعد الصفات، سنبدأ في القاعدة الرابعة.

[القاعدةُ الرابعةُ: الصفات الثبوتيَّة صفات مدح وكمال]

(الصفات الثبوتيَّة صفات مدح وكمال فكلما كثرت وتنوعت دلالاتُها ظهر من كمالِ الموصوف بها ما هو أكثر؛ ولهذا كانت الصفات الثبوتيَّة التي أخبر الله بها عن نفسه أكثر بكثير من الصفات السلبية كما هو معلوم)

القاعدة تقول: (الصفات الثبوتيَّة صفات مدح وكمال) ما هي النتيجة؟ أنه (كلما كثرت وتنوعت دلالاتُها ظهر من كمال الموصوف بها ما هو أكثر) ولذلك أهل السّنة والجماعة معتقدهم التفصيل في الإثبات والإجمال في النفي لأن مخالفوهم ينفون فيقولوا: لا متصل بالعالم ولا منفصل عنه، لا داخل العالم ولا خارج منه، فيستعملوا النفي، قال الشيخ: (كلما كثرت وتنوعت دلالاتها ظهر من كمال الموصوف بها ما هو

أكثر) وهذا الكلام صحيح لأنك إذا دخلت على مَلِك مثلًا وقلت له: أنت لست زبال ولا سائق ولا حارس هل هذا وصف له بالكمال؟ لا، لأن كثرة النفي ليست وصف للكمال إنما يستخدم النفي في مواطن معينة.

(ولهذا كانت الصفات الثبوتيَّة التي أخبر الله بها عن نفسه أكثر بكثير من الصفات السلبية كما هو معلوم)

أي أنك الآن عندما تنظر للكتاب والسّنة ستجد أن الصفات الثبوتيَّة أكثر من الصفات السلبية، متى تستخدم الصفات السلبية؟ أو متى يكلمنا الله بأن نعتقد النفي عن صفاته؟ لم تُذكر الصفات السلبية غالبًا إلا في الأحوال التالية قال:

(أما الصِّفاتُ السلبيةُ فلم تذكر غالبًا إلا في الأحوال التالية:

الأولى: بيانُ عموم كماله، كما في قوله تعالى: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ}[١])

أي ينفي عن نفسه صفات إذا أراد بيان عموم كماله فيقول سبحانه: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ} فهنا بيّنت الآية أنه لا أحد يمكن أن يكون مثيلًا لله لا في صفاته ولا في عطائه ولا في رزقه ولا في خلقه ولا في صفاته الذّاتيَّة ولا صفاته الفعليَّة ولا مكافئ له أبدًا في ذاته وصفاته وأفعاله فهذا بيان عموم كماله {وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ}[٢] .

أيضًا قال:

---

(١) الشورى: ١١.

(٢) الإخلاص: ٤.

(الثانية: نفيُ ما ادَّعاه في حقِّه الكاذبون، كما في قوله: {أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا}[1])

إذًا نفى عن نفسه سبحانه الولد.

(الثالثة: دفع توهم نقص من كماله فيما يتعلق بهذا الأمر المعيّن، كما في قوله: {وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لاعِبِينَ}[2])

مثلا هناك من توهّم عندما نظر للسموات والأرض وإلى الحياة أن هذا خُلق عبثًا فماذا يرد الله عليه؟ {وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لاعِبِينَ}، أو يتوّهم أن الله بعد خلق السماوات والأرض تعب فماذا يقول الله؟

(وقوله: {وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ}[3])

إذًا هذا النفي هنا دفع لتوهم أمر توهمه المتوهمون، إذًا الصفات الثبوتيَّة هي الأكثر في كتاب الله؛ لأنها كلما كثرت وتنوعت دلالتها ظهر من كمال الموصوف بها أكثر.

قال: (فكلما كثرت وتنوعت دلالاتها ظهر من كمال الموصوف بها ما هو أكثر) هذا تعليل عقلي.

الأمر الثاني (الصفات الثبوتيَّة التي أخبر الله بها عن نفسه أكثر بكثير من الصفات السلبية كما هو معلوم) بل أنك تجد أنه لم يخبر بالصفات السلبية إلا في ثلاثة أحوال

---

(١) مريم: ٩١-٩٢.

(٢) الأنبياء: ١٦.

(٣) ق: ٣٨.

غالبًا لبيان عموم كماله لنفي ما ادعاه في حقه المبطلون الكاذبون لدفع توهم ما وقع في عقول بعض الناس.

أسأل الله أن ينفعني وينفعكم بما سمعتم وأسأله سبحانه أن يبارك لنا في لقائنا هذا وفيما سيأتي بعده من لقاءات.

اللقاء الخامس

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان وسلّم تسليمًا.

رُوي في مسند الإمام أحمد عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال النبي صلى الله عليه وسلم: (**الدنيا دارُ من لا دارَ له ومالُ من لا مالَ له ولها يجمعُ من لا عقلَ له**)[١] وإذا كان أهل الدنيا يجمعون للدنيا فقد وصفهم النبي -صلّى الله عليه وسلّم- بأنهم لا عقول لهم وقد مدح -صلّى الله عليه وسلّم- وأثنى على طلاب العلم ثناءً طويلًا، فما ورد في الثناء عليهم أن النبي -صلّى الله عليه وسلّم- كان حين يدخل له أحد يطلب منه العلم يقول: (**مرحبًا بطالبِ العلمِ**)[٢] فترحيبه بطلاب العلم سنة تتبع، فمرحبًا بطالبات العلم وأهلًا وسهلًا بهذا الرزق الذي ساقه إلينا الوهاب، نسأله بمنه وكرمه كما سخّر الأسباب ويسرها من غير حول منّا ولا قوة وكما رتب الأحوال فلم يكن لنا فيها جهد، نسأله كما يسر هذا كله ورتّب لنا من الأحوال التي ترفعنا عنده نسأله أن يتقبل منّا هذا العمل وأن يجعله خالصًا لوجه وأن يكون سببًا لمغفرته ورحمته ونزول البركات واستجابة الدعاء وصلاح القلوب وصلاح الأبناء -اللهم آمين- اكفنا يا ربنا المؤنة ويسّر لنا الرحلة وقربّنا من رضاك واطوِ عنا أيام البعد عنك.

نبدأ في هذا اللقاء المبارك بالقاعدة الخامسة من قواعد الصفات، بعدما بيّن الشيخ -رحمه الله- في قواعد الصفات أن صفات الله تعالى المثبتة له -سبحانه وتعالى- إثباتًا مطلقًا وكلها صفات كمال لا نقص فيها بوجه من الوجوه، وبيّن أن باب الصفات أوسع

---

(١) أخرجه أحمد (٢٤٤١٩)، والبيهقي في (شعب الإيمان) (١٠١٥٤)، وابن أبي الدنيا في (الزهد) (٢٤٠)

(٢) أخرجه الطبراني (٨/٦٤) (٧٣٤٧) وحسّنه الألباني.

من باب الأسماء، وبيّن أن صفات الله منها الثبوتيَّة والسلبية وأن الصفات الثبوتيَّة أكثر في القرآن لأنها صفات مدح وكمال، بدأ في تقسيم الصفات الثبوتيَّة إلى: ذاتيَّة وفعليَّة، فقال:

[القاعدةُ الخامسةُ: الصفات الثبوتيَّة تنقسم إلى قسمين: ذاتيَّة. وفعليَّة.]

(فالذّاتيَّة: هي التي لم يزل ولا يزال متصفًا بها، كالعلمِ والقدرةِ والسَّمع والبصرِ والعزةِ والحكمةِ والعلوِّ والعظمةِ.

ومنها الصفات الخبريَّة: كالوجهِ واليدين والعينين.

والفعليَّة: هي التي تتعلَّق بمشيئته، إن شاء فعلها وإن شاء لم يفعلها، كالاستواء على العرش، والنُّزولِ إلى السماءِ الدنيا.

وقد تكون الصفة ذاتيَّةً فعليَّةً باعتبارين كالكلامِ، فإنَّه باعتبارِ أصلِه: صفةٌ ذاتيَّةٌ؛ لأن الله تعالى لم يزل ولا يزال متكلِّمًا.

وباعتبار آحاد الكلامِ: صفةٌ فعليَّةٌ؛ لأنَّ الكلام يتعلَّق بمشيئته، يتكلَّم متى شاء بما شاء، كما في قوله تعالى: {إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ}[1])

الآن ننظر إلى الصفات الثبوتيَّة من حيث تقسيمها إلى ذاتيَّة وفعليَّة، ما ضابط الصفة الذّاتيَّة؟

قال: (هي التي لم يزل ولا يزال متصفًا بها) أي أن هذه الصفة لا يأتي وقت يكون الله -عزّ وجلّ- ليس موصوفًا بها (كالعلمِ والقدرةِ) فهو -سبحانه وتعالى- عالمًا فصفته:

---

(١) يس: ٨٢.

العلم دائمًا، قادر فصفته: القدرة دائمًا، القدرة على ماذا؟ القدرة على الخلق، القدرة على الرزق، القدرة على الإحياء، القدرة على الإماتة. فالقدرة صفة ذاتيَّة، قادر على كل شيء، ثم هذه الصفة الذّاتيَّة التي هي القدرة تقابلها صفات فعليَّة كثيرة: الخلق، الرزق، الإحياء، الإماتة. فمتى شاء -سبحانه- أحيا ومتى شاء أمات ومتى شاء خلق ومتى شاء رزق، فتصبح القدرة: صفة ذاتيَّة، دائمًا سبحانه قادر على كل شيء.

أيضًا من صفاته الذّاتيَّة قال: (والسَّمع والبصرِ والعزَّةِ والحكمةِ والعلوِّ والعظمةِ) فهو دائمًا سميع، بصير، دائمًا عزيز، فهذه صفته اللازمة له، فهو -سبحانه وتعالى- عزي، وهو -سبحانه وتعالى- حكيم دائمًا، لا يأتي زمن فيخلو -تعالى- من هذه الصفة أبدًا وهو -سبحانه وتعالى- له العلوّ المطلق فلا يخطر على بالك أن نزوله إلى السماء الدنيا يخالف علوّه.

فكونك تفهم أن هذه صفة ذاتيَّة معناه أنك تعلم أن الله -عزّ وجلّ- متصف بها أبدًا لا يخلو منها أبدًا.

قال: (ومنها الصفات الخبريَّة: كالوجهِ واليدين والعينين) الآن سنناقش مسألة أخرى، عندما قال: (ومنها الصفات الخبريَّة) (منها) عائدة على الذّاتيَّة فكأن الشيخ يقول: إن هناك شيئًا اسمه: صفات ذاتيَّة خبريَّة، قال مثالها: (كالوجهِ واليدين والعينين) والأولى التي هي السَّمع والبصر والقدرة تُسمّى عند أهل العلم: صفات ذاتيَّة معنوية، فأصبحت الصفات الذّاتيَّة نفسها تنقسم إلى قسمين:

١. خبريَّة.

٢. معنوية.

الآن نريد أن نبين الفرق بين الصفات الذّاتيَّة الخبريَّة وبين الصفات الذّاتيَّة المعنوية: الصفات الخبريَّة والمعنوية يجتمعان في كون الله -سبحانه وتعالى- لم يزل ولا يزال متصفًا بها، هذا الأمر المشترك.

يختلفان في ماذا؟ عندما ننظر للمثال سيتبين لنا الخلاف:

الصفات الذّاتيّة الخبريَّة

مثالها: الوجه، اليدين، العينين.

الاشتراك: كلاهما لا يزال وما زال -سبحانه وتعالى- متصفًا بها.

الاختلاف: الصفات الخبرية: هي التي تثبت عن طريق الخبر، ولو لم يرد النص بها لم يستطع العقل وحده معرفتها، لكنه مع ذلك لا ينفيها، وضابطها لنا: أنها التي مُسمّاها لنا: أبعاضٌ وأجزاء، ما كان نظيرها في المخلوقين أبعاضًا كالوجه (يجب الحذر من القول بأنها أبعاض لله وأجزاءٌ له -تعالى الله عن ذلك-)

الصفات الذّاتيّة المعنويّة

مثالها: القدرة، السَّمع، البصر.

الاشتراك: كلاهما لا يزال وما زال -سبحانه وتعالى- متصفًا بها.

الاختلاف: الصفات المعنوية: هي ما كان دالًا على معنى ويسميها البعض (الصفات العقليَّة) لأن العقل دلّ عليها فإذا لم يأتِ النص لاهتدى العقل إليها.

وقيل إن العقل لا يستقل بذلك بل يدل عليها (الصفات) بخلاف الأولى (الذّاتيَّة الخبريَّة) فإنها خبريَّة محضة ولا مجال للعقل فيها.

نتناقش في تفاصيل هذا الكلام:

الذّاتيَّة المعنوية ما هي؟ هي التي تدل على معنى ويسمّيها البعض: (الصفات العقليَّة) لأن العقل يمكن أن يستدل عليها بمعنى أنك إذا نظرت للكون ألا ترى أن خالقه قادر؟! بلى، عندما تدعو فيُستجاب لك ألا تعلم أن من دعوته سمعك؟ إذا رأيت تدابير الرب في الكون والأقدار العجيبة والتربية التي تعجز عن إدراك الحكمة فيها ثم يُظهر لك الله شيئًا منها ألا تفهم بذلك أن ربك موصوف بالحكمة؟ بلى، من أجل ذلك أصبح للعقل هنا مجال ليس من باب إثباتها منفصلة وإنما من باب الدلالة عليها.

نأتي الآن وننظر إلى الصفات الخبريَّة ماذا تقول فيها؟ لا يستطيع العقل إدراكها أبدًا لو لم يرد بذلك نص، فأنت الآن عندما يحصل موقف وترى أن الله يُثيبك أو يعاقبك تعلم أن الله يراك، لكن هل تستطيع أن تقول له عينين؟ أنت تعلم أنه يراك فقط، لكن عندما علمت حديث الدجال وقال لك: (إنَّه أعْوَرُ، وإنَّ رَبَّكُمْ ليسَ بأَعْوَرَ)

وكلمة أعور تطلق على من فقد عينيه، ففهمت بذلك أن له عينان وأتانا الخبر بذلك، أتى الخبر بالإفراد وأتى الخبر بالجمع وسيأتي الكلام بين الجمع بين الأدلة في موطنه، أنت دعوت فرأيت أثر أن الله سمع دعاءك، فهل يمكن الآن أن تقيس أن الله بما أنه يسمع فإن له كذا وكذا كما للبشر؟ الجواب: لا، لا علاقة للعقل بهذا الأمر أبدًا، ولا تثبت من العقل أبدًا.

إذًا تثبت صفة السَّمع بالعقل لأن هناك أدلة كثيرة تدل عليه، ولا نقصد بذلك أننا سندرك صفات الله بالعقل، لكن المقصود أن الصفات الذّاتيَّة المعنوية، يمكن للعقل

إدراكها ويرى آثارها لكن الصفات الخبريَّة لا يمكن أن يقرر أن الله له وجه أو يدين أو رجلين أو ساق إلا إذا أتى الخبر بذلك.

انتهى الآن الكلام حول الصفات الذّاتيَّة، ننتقل للكلام عن الصفات الفعليَّة:

قال: (**والفعليَّة: هي التي تتعلق بمشيئته، إن شاء فعلها وإن شاء لم يفعلها، كالاستواء على العرش، والنزول إلى السماء الدنيا**)

الآن هذه الأفعال يفعلها الله -عزّ وجلّ- متى شاء فأنت تعلم أن النزول للسماء الدنيا حدث بعد خلق السماء الدنيا وأن استواءه على الخلق حدث بعد خلق العرش فهو -سبحانه وتعالى- على كل شيء قدير، وهذا أصل فهمك للصفات الفعليَّة أنه على كل شيء قدير فهو يفعل ما يشاء وقتما يشاء فأهل السّنة والجماعة يعتقدون أن الله -عزّ وجلّ- فعّال لما يريد يفعل ما يشاء ويختار فهو لم يزل ولا يزال فعّالًا، وهذه صفة ذاتيَّة أن لم يزل ولا يزال فعّالًا والفعليَّة هي آحاد نفس الفعل، فهو قادر على الخلق قبل أن يخلق فلما خلق أصبحت هذه الصفة فعليَّة، قادر: صفة ذاتيَّة قادر على الخلق، قادر على الرزق، على الإحياء والإماتة، قبل أن يخلق الخلق هو موصوف بهذه الصفة فهو -سبحانه وتعالى- موصوف بصفات الكمال وأنه فعّال لما يريد وأنه على كل شيء قدير وهذه صفاته الذّاتيَّة ثم صفاته الفعليَّة آحاد.

وأيضًا الصفات الفعليَّة: صفات فعل خبريَّة وصفات فعل عقليَّة.

- صفات الفعل الخبريَّة: هي الصفات التي ثبتت بالدليل النّقلي المحض والتي لا يمكن الاهتداء إليها ومعرفتها بالعقل لولا ورود النص بها ولو لم يرد بها النص لما استطاع العقل أن يعرف عنها شيئًا لكنه مع ذلك لا ينفيها، كالاستواء والنزول والمجيء والعَجَبِ والفرح.

- صفات الفعل العقليَّة هي التي يمكن للعقل إدراكها وورد النص بها ولو لم يأتِ النص لأدركها العقل كالخلق والإحياء والإماتة والرزق.

ثم أننا نريد أن نبين أن بعض أهل العلم قسّم أفعال الله تعالى من ناحية أخرى إلى قسمين:

١. ما كان منها متعلقًا بالذّات الإلهية وهي ما تسمّى بأفعال لازمة كالكلام والنزول والاستواء والمجيء يوم القيامة.

٢. ما كان منها متعديّا إلى غيره كالخلق والرزق والإحياء والإماتة، فأنواع التدبير كلها من الأفعال المتعدية إلى الخلق.

لدينا تقسيم ثالث يقول الشيخ:

(وقد تكون الصفة ذاتيَّةً فعليَّةً باعتبارين كالكلامِ، فإنه باعتبار أصله صفةٌ ذاتيَّةٌ؛ لأن الله تعالى لم يزل ولا يزال متكلّمًا، وباعتبار آحاد الكلامِ صفةٌ فعليَّةٌ؛ لأن الكلام يتعلق بمشيئته، يتكلَّم متى شاء بما شاء، كما في قوله تعالى: {إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ}. وكلُّ صفةٍ تعلّقت بمشيئته تعالى فإنها تابعةٌ لحكمتِهِ)

الصفات الذّاتيّة الفعليّة فيها نقاش يطول عند أهل العلم في الكلام حول الصفة القديمة -كما يسمونها- قديمة في ذاتها حادثة في آحادها، فالكلام والإرادة والخلق مثلًا كلها راجعة إلى صفات الذّات دائمة بدوامها.

وهناك ما هو حادث كالاستواء والنزول والمجيء.

تفهم من هذا الكلام أن هناك صفات حادثة حصلت بعد خلق الدنيا، أو بعدما يجتمع الناس للقضاء يوم القيامة، المجيء للقضاء يوم القيامة، فالنزول إلى السماء الدنيا بعد خلق السماء، والاستواء على العرش بعد خلق العرش، هذه تسمى: حادثة.

وهناك صفات ذاتيَّة: كالكلام مثلًا أو الإرادة فهي صفة ذاتيَّة والمرة التي يتكلّم فيها الرب تصبح فعليَّة، والمرة التي يريد فيها الرب تصبح فعليَّة، المرة التي يخلق فيها الرب تصبح فعليَّة.

لنعيد ونرتب المعلومات، تكلمنا أولًا أن الصفات تقسم إلى:

- ذاتيَّة.

- فعليَّة.

- ذاتيَّة فعليَّة.

ثم أتينا إلى الذّاتيَّة وقسمنها:

- ذاتيَّة خبريَّة.

- ذاتيَّة معنوية.

وعندما نقول: الصفات الذّاتيَّة أو الفعلية أو الذّاتية الفعليَّة، كلها ستشترك في أن النصوص دلت عليها، هذه قاعدة لا تنفك عن أي كلام في الأسماء أو الصفات، لا يوجد نقاش حول هذا الأمر.

ثم عندما أتينا إلى الصفات الفعليَّة قسّمناها أكثر من تقسيم، قلنا:

- صفات فعلية خبريَّة.

- صفات فعلية عقليَّة.

ثم ذكرنا من ناحية أخرى إن أفعال الله تنقسم إلى قسمين:

- منها ما هو متعلّق بالذّات.

- منها ما هو متعدٍ.

لنناقش الآن الصفات التي تكون باعتبارين وهي التي قد يكون فيها إشكال:

عندما تنظر لهذه الصفات التي هي باعتبارين سنناقشها من ثلاثة أقسام:

- سننظر لها من حيث الجنس.
- من حيث النوع.
- من حيث الآحاد (أي الأفراد يعني المرة الواحدة التي يحصل فيها الفعل، عندما كلم الله موسى، عندما يكلم الله -عزّ وجلّ- جبريل)

١- إذا نظرت إلى جنسها فسترى أن جنس الصفات الفعليَّة ذاتيّ، أزليّ.

ذاتيّ: لأنك تعلم أن مِن وصْف الله الذّاتي: أنه فعّال لما يريد.

أزلي يعني: لازال الله متصفًا بها واحفظ في هذا: (فعالٌ لما يريد) يعني كل صفات الفعل ترجع إلى أن الله سبحانه فعال لما يريد وهذا الوصف لا ينفك عنه.

٢- ننظر الآن للأنواع: ستجد أن الصفات الفعلية نوعان: (قديمة) و (حادثة.)

القديمة: عكس الحادثة، القديمة تستطيع أن تقول إنها راجعة إلى صفات الذّات، مثالها: الكلام، الإرادة، الخلق.

الحادثة: كالاستواء، النزول، المجيء، حدثت بعد خلق السماوات، حدثت بعد خلق العرش، حدثت بعد جمع الناس للقضاء.

إذًا أنواع الصفات الفعلية: حادثة وقديمة، ونحن نتحرج من قول: (حادثة وقديمة) لكن نقول هذا الكلام لأن مصيبتنا في المخالفين، مثلًا الأشاعرة يقولون إن كلام الله صفة. لكن هل يعتقدون أنه فعلي أم ذاتي لله؟ هم يتكلّمون عمّا يسمونه كلام نفساني فيقولوا: إنه صفة ذاتية لكنهم ينكرون أنه صفة فعليَّة في آحادها.

ونحن في غنى عن هذا كله لولا أننا نعلم أن هؤلاء المخالفين أصبح لهم من القوة والقدرة على الإقناع ما الله به عليم، نسأل الله أن يرد شرهم أجمعين!

إذًا لدينا: قديم وحادث، الحادث حدث بعد مثلًا أن خلق الله السماء: فأتاك النزول إلى السماء الدنيا.

الاستواء على العرش: حدث بعد خلق العرش.

المجيء والإتيان يوم القيامة: هذا حادث بعد البعث، فهذا ما يسمى (حادث.)

القديم مثل الإرادة، الكلام. أصل الصفة ثابتة لله -عزَّ وجلَّ- ليست مثل الاستواء على العرش والنزول إلى السماء.

٣- انظر الآن للآحاد: الكلام قديم، أي ثابت لله، كأنك تقول: صفة ذاتيّة فعندما تأتي لآحاد الكلام، المرة التي يتكلّم فيها الله، ستقول: الكلام، الإرادة، الخلق. **آحاده فعلي وأصله ذاتي.**

المرة الواحدة التي كلم الله سبحانه موسى -عليه السلام- تعتبر مرة واحدة فعليًا.

صفة الخلق صفة ذاتيَّة يعني قديمة ثابتة لله -عزّ وجلّ- لذلك في الطحاوية تقرأ: **(لم يستفد الخَلق مِن خَلْقه)** يعني هو -سبحانه وتعالى- لم يوصف أنه خالق لأنه خلق، لا، هذا الوصف ثابت له قبل أن يخلق في المرة الواحدة التي خلق بها -سبحانه وتعالى- أصبحت الصفة فعليَّة.

إذًا آحاد الصفات التي نوعها ذاتي يُنظر لها باعتبارين.

صفة الإرادة نقول فيها: إن الله فعال لما يريد هذه صفة ثابتة، إذا أراد شيء قال له: كن فيكون هذه صفة ذاتيَّة لا تنفك عن ذاته، دائما الله -عزّ وجلّ- يريد {**يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَوَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ**}[1] في المرة التي يريد فيها الخلق أو الإحياء أو يريد فيها الإماتة تسمى: آحاد الإرادة وتعتبر في هذه الحالة: فعليَّة.

---

(١) البقرة: ١٨٥.

ومن هنا يتبين لك هذا النوع وتستطيع بذلك أن تفرق بين ما هي الصفات التي أقول عنها: ذاتيَّة فعليَّة، والصفات التي أقول عنها: فعليَّة فقط، والصفات التي أقول عنها: ذاتيَّة فقط.

فالصفات الفعليَّة فيها جنس ونوع وآحاد، وعندما نشرح إجمالًا: نتكلم عن الآحاد. وعندما نشرح تفصيلًا: نتكلم عن النوع والجنس، لكن دائمًا نتكلم عن الآحاد صفة فعليَّة يعني أنه ينزل للسماء الدنيا، أنه يرزق، يخلق، يتكلّم، مباشَرة نتكلم عن الآحاد وعند الشرح بالتفصيل نقول: لابد أن تفهم أن جنس الفعل نفسه ذاتي ونوعه ينقسم إلى قسمين: قديم وحادث، وآحاده ينقسم إلى قسمين من حيث الأصل، فإذا كان أصل الصفة قديم مثل الكلام يُنظر له باعتبارين: باعتبار أصله صفة ذاتيَّة وباعتبار آحاده صفة فعليَّة.

قال: (وكلُّ صفةٍ تعلَّقت بمشيئته تعالى فإنها تابعةٌ لحكمته.

وقد تكون الحكمة معلومة لنا، وقد نعجز عن إدراكها، ولكننا نعلم علم اليقين أنه سبحانه لا يشاء شيئًا إلا وهو موافق للحكمة، كما يشير إليه قوله تعالى: {وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا}[1])

يقصد بهذا (وكلُّ صفة تعلَّقت بمشيئته تعالى فإنها تابعةٌ لحكمته) لأن المعتزلة أثبتوا الحكمة لكنهم قالوا: ليست صفة لله إنما هي مخلوقة وقالوا المقصود بها إحسانه إلى خلقه! مع أن الله -عزّ وجلّ- يقول: {وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا} فسمّى نفسه عليم وسمّى نفسه حكيم.

(١) الإنسان: ٣٠.

قال الشيخ:

[القاعدةُ السادسةُ: يلزم في إثبات الصفاتِ التَّخلي عن محذورين عظيمين]

أحدهما: التَّمثيل.

والثاني: التَّكييف.

فأما التَّمثيل: فهو اعتقاد المثبِتِ أن ما أثبته من صفات الله تعالى مماثلٌ لصفات المخلوقين. وهذا اعتقادٌ باطلٌ بدليل السَّمع والعقل.

أما السَّمع: فمنه قوله تعالى: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ}، وقوله: {أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لا يَخْلُقُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ}[1]، وقوله: {هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا}[2]، وقوله: {وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ}.)

إذًا هذه القاعدة تخاطب المثبتين للصفات، وقوله (يلزم) أي يجب ذلك قطعًا وربما يرد هنا صفات لماذا لم يقل المؤلف أنه يجب التخلي عن التَّعطيل والتحريف؟ الجواب: أن المؤلف -رحمه الله- يناقش المُثبت للصفات أما المعطل والمحرف فقد نفى الصفات ولم يثبتها وسيأتينا مناقشته بالتفصيل في قواعد في أدلة الصفات فسنناقش النافين للصفات.

(فأمَّا التَّمثيل: فهو اعتقاد المثبِتِ أن ما أثبته من صفات الله تعالى مماثلٌ لصفاتِ المخلوقين. وهذا اعتقادٌ باطلٌ بدليل السَّمع والعقل)

---

(١) النحل: ١٧.

(٢) مريم: ٦٥.

إذًا معنى التمثيل: اعتقاد المُثبِت أن ما أثبته من صفات الله مماثل لصفات المخلوقين، مثل أن يقول: أُثبت أن الله يسمع وسمعه كسمع المخلوقين! فهو مُثبت للصفة لكنه يعتقد أن صفة الله مماثله لصفات المخلوقين!

قال (وهذا اعتقاد باطل بدليل السَّمع والعقل)

أن تثبت وتعتقد أن صفات الله مماثله لصفات المخلوقين، بدليل من السَّمع وبدليل من العقل، أما السَّمع فأتى بأدلة قال:

(أما السَّمع: فمنه قوله تعالى: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ})

فبما أنك تعتقد أنه ليس مثله شيء ومثله ليس كمثله شيء، (مثل) هنا بمعنى: وصف فيصبح المعنى: ليس كوصفه شيء لا في ذاته ولافي أسمائه ولا صفاته ولا أفعاله. وأتى بقوله تعالى: {أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لا يَخْلُقُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ}.

هذا استفهام فيه إنكار على الذين يجعلون الله مشابهًا لخلقه، وهذا الاستفهام الاستنكاري مقصده: مخاطبة عبدة الأوثان حيث سموها: (آلهة) تشبيهًا منهم له تعالى، فجعلوا غير الخالق كالخالق، فأنكر الله -عزّ وجلّ- عليهم هذا لأن من كان وصفه أنه يخلق لا يمكن أن تمثلوا به أو أن تماثلوا به من وصفه أنه لا يخلق.

نأتي الآن للدليل العقلي: قال:

(وأما العقل فمن وجوه:

الأول: أنه قد عُلِم بالضرورة أن بين الخالق والمخلوق تباينًا في الذّات)

(تباينًا) أي: اختلافًا في الذّات.

(وهذا يستلزم أن يكون بينهما تباينٌ في الصفات)

يعني إذا علمت أن ذات الله غير ذوات المخلوقين -وهذا ما يتفق عليه كل أحد أن ذات الله تباين ذوات المخلوقين- فمن المؤكد أن صفات الله ستكون مباينة لصفات المخلوقين لأن صفة كل موصوف تليق به كما هو ظاهر في صفات المخلوقات المتباينة في الذوات، قال:

(لأن صفةُ كُلِّ موصوفٍ تليق به، كما هو ظاهرٌ في صفات المخلوقات المتباينة في الذوات، فقوَّة البعيرِ مثلًا غير قوة الذَّرَّةِ)

الذّرّ هو: النمل الأحمر الصغير، فانظر إلى ذات النملة وإلى ذات البعير، ثم إذا قلت: قوة البعير؛ فهي ناسبت ذات البعير، وإذا قلت: قوة الذرة، فهي ناسبت الذّرّة.

قال: (فإذا ظهرَ التباينُ بين المخلوقاتِ مع اشتراكها في الإمكانِ والحدوثِ)

يعني كما مرّ معنا أنه ما يتصور العقل وجوده أو عدمه.

(فظهورُ التباينِ بينها وبين الخالق أجلى و أقوى)

لأنه -كما يعبرون- ممكنة الحدوث بينها تباين، فما بالك بواجبة الوجود؟ يعني إذا كانت ذات الله -كما يعبرون- واجبة الوجود، يعني أن الله واجب الوجود، والمخلوقين كلهم ذواتهم ممكنة الوجود، فكيف تمثّل صفات ممكن الوجود بواجب الوجود؟! على تعبيرهم هم، والجملة المهمة هنا: أن صفة كل موصوف تليق به، تابعة لذاته.

الجواب الثاني العقلي قال:

(الثاني: أن يقالَ: كيفَ يكونُ الرب الخالق الكامل من جميع الوجوه مشابهًا في صفاتِهِ للمخلوقِ المربوب الناقص المفتقر إلى من يُكَمِّله؟ وهل اعتقادُ ذلك إلا تَنَقُّصٌ لحق الخالق، فإن تشبيه الكامل بالناقص يجعله ناقصًا)

وأنتم تعلمون بيت الشعر الذي يقول: **(ألم ترى أن السيف ينقص قدره *** إذا قيل إن السيف أمضى من العصا)** لماذا ينقص قدره؟ لأن المقارنة بين الكامل والناقص يحط من قدر الكامل، فلذلك أن تأتي إلى صفات الرب وتشبهها بصفات المخلوق فذلك نقصًا لصفات الرب.

الرد الثالث قال:

(الثالث: أننا نشاهد في المخلوقات ما يتفق في الأسماء ويختلف في الحقيقة والكيفية، فنشاهد أن للإنسان يدًا ليست كيد الفيل، وله قوةٌ ليست كقوةِ الجمل، مع الاتفاق في الاسم. فهذه يدٌ وهذه يدٌ، وهذه قوةٌ وهذه قوةٌ، وبينهما تباين في الكيفية والوصف، فعُلِمَ بذلك أن الاتفاق في الاسم لا يلزم منه الاتفاق في الحقيقة)

وهذا كلام في غاية الوضوح، الآن إذا أتينا وقلنا إن الفيل له يد والجمل له يد هل تتصور أن يد الجمل مثل يد الفيل برغم أن كلاهما يد؟ الجواب: لا، هل تتصور أن يد الباب كيد الجمل؟ الجواب: لا، هل يد الهرة كيد الجمل؟ الجواب: لا، فاجتمعوا كلهم على أن الكلمة الاسم هنا (يد) لكن الحقيقة والكيفية مختلفة، فماذا تقولون؟ نقول: الاتفاق في الاسم لا يلزم الاتفاق في الحقيقة وهذه هي القاعدة.

إذا الجواب العقلي يعتمد على ثلاث قواعد:

١- صفة كل موصوف تليق به.

٢- تشبيه الكامل بالناقص يجعله ناقصًا.

٣- الاتفاق في الاسم لا يلزم منه الاتفاق في الحقيقة.

قال: (والتَّشبيه كالتَّمثيل، وقد يفرّق بينهما بأنَّ التَّمثيل: التَّسوية في كل الصفات، والتَّشبيه: التَّسوية في أكثر الصفات، لكن التعبير بنفي التَّمثيل أولى لموافقة القرآن: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ})

الشيخ بعدما انتهى من الدليل العقلي أراد أن يشير إلى أن كثير من أهل العلم يستعملون كلمة (التشبيه) بدلًا من كلمة (التمثيل)، فأولًا قرر أن:

التشبه كالتمثيل.

وأحيانا يفرّق بينهما بأن التمثيل هو التسوية في كل شيء في مقابل أن التشبيه: التّسوية في أكثر الصفات، فهو يرى أن التعبير بالمماثلة أولى من التعبير بالمشابهة لأنها لفظة القرآن.

وسُئل الشيخ في فتاواه: أيهما أولى، التعبير بالتَّمثيل أم التعبير بالتَّشبيه؟

قال: (التعبير بالتمثيل خير من التعبير بالتشبيه لوجوه ثلاثة:

الوجه الأول: أن نفي التمثيل هو الذي ورد في القرآن، ولم يرد في القرآن نفي التشبيه، واللفظ الذي هو التعبير القرآني خير من اللفظ الذي هو التعبير الإنساني.

الوجه الثاني: إن التشبيه لا يصح نفيه على الإطلاق لأنه ما من شيئين إلا وبينهما قدْرٌ مشترك اتفقا فيه وإن اختلافا في الحقيقة. فلله وجود وللإنسان وجود، ولله حياة وللإنسان حياة، وهذا الاشتراك في أصل المعنى نوع من التشابه لكن الحقيقة أن صفات الخالق ليست كصفات المخلوق فحياة الخالق ليست كحياة المخلوق، فحياة المخلوق ناقصة مسبوقة بعدم وملحوقة بفناء وهي أيضًا ناقصة في حد ذاتها يومٌ يكون طيّبًا ويوم يكون مريضًا بخلاف حياة الخالق جلّ وعلا فإنها كاملة من كل وجه.

الوجه الثالث: أن بعض أن التَّعطيل يسمون المثبتين للصفات مشبّهة، فإذا قلت: (من غير تشبيه) فهم هؤلاء أن المراد من غير إثبات صفة ولذلك نقول: إن التعبير بقولنا: (من غير تمثيل) أولى من التعبير بالتشبيه)[1]

هذا الوجه الثالث معناه أن بعض أهل التَّعطيل يسمون المثبتين (مشبّهة)، فأنت عندما تقول: (من غير تشبيه) يتصورن إنه من غير إثبات الصفة لأنهم يرون إثبات الصفة تشبيهًا!

نرجع للمتن:

قال الشيخ:

(وأما التكييفُ: فهو أن يعتقد المثبتُ أن كيفيَّة صفات الله تعالى كذا وكذا، من غير أن يقيِّدها بمماثل)

التكييف: مشتق من الكيف، والكيف هو: الهيئة والشكل، فيكون التكييف هو: حكاية كيفية الصفات وشكلها أو هيأتها كطولها وعرضها وحجمها وهذه لا تكون مقيدة

(١) فتاوى الشيخ ابن عثيمين: (١ / ١٧٩ ، ١٨٠ ، السؤال رقم ٩٠).

بمماثل، وقد يسأل سائل: ما الفرق بين التكييف والتمثيل؟ فنقول: التكييف هو أن يحكي كيفية الشيء سواءً كانت مطلقة أو مقيَّدة بشبيه، فالمطلقة مثلًا أن يقول: (أنا اشتريت بيتًا صفته كذا وكذا) ولكن لا يذكر مثيلًا لبيته، لا يذكر أنه مثل بيت فلان، أما التمثيل فيكون مقيدًا بالمماثل، فالآن إذا نظرت سيكون التكييف أعمّ لأن كل ممثّل مكيِّف وليس كل مكيِّف ممثّل. فأصبح الأكبر هو التكييف، فالتكييف هو: حكاية كيفية الصفة دون تقييدها بمماثل.

قال الشيخ:

(وهذا اعتقادٌ باطلٌ بدليلِ السَّمع والعقل.

أما السَّمع: فمنه قوله تعالى: {وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا}[1]، وقوله: {وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمع وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولًا}[2]، ومن المعلوم أنه لا علم لنا بكيفيَّة صفات ربنا؛ لأنَّه تعالى أخبرنا عنها ولم يخبرنا عن كيفيَّتها، فيكون تكييفنا قَفْوًا لما ليس لنا به علم، وقولًا بما لا يمكننا الإحاطة به)

فاستخدم الشيخ في الدليل العقلي دليلين ثم شرح استدلاله بهما، فالدليل الأول: {وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا} أي أنهم لا يطّلعون على شيء من علم ذاته وصفاته إلا بما أطْلعهم، فهل أطلعنا الله على كيفية الصفات؟ لم يطلعنا على كيفية الصفات، إذا لم يطلعنا على كيفية الصفات إذًا كلامنا عنها وتكييفنا للصفات سيكون قفْوًا ما ليس لنا به علم.

---

(١) طه: ١١٠.

(٢) الإسراء: ٣٦.

نأتي الآن إلى الدليل العقلي، يقول:

(وأما العقل: فلأنَّ الشيء لا تُعرف كيفية صفاته إلا بعد العلم بكيفيَّة ذاته، أو العلمِ بنظيره المساوي له، أو بالخبرِ الصادقِ عنه. وكل هذه الطُّرق منتفيَةٌ في كيفية صفات الله عزَّوجلَّ، فوجب بطلان تكييفها)

الشيخ يريد أن يقول: إن من يتكلّم عن صفات الله ويقول: (إن هذه كيفية الصفة) نقول له: هناك طرق لمعرفة كيفية الشيء، ثلاثة طرق ليس لها رابع:

الأولى: أن تعرف ذاته.

الثانية: أن تعرف نظيره المساوي له.

الثالث: يأتيك الخبر الصادق عنه.

تعال وقل لي -وهذا من باب التَّنزل مع الخصم- : ستحكي كيفية صفات الله هل أنت تعرف ذاته؟ لا، كذاب بل لا يمكن أن يقبل عقل منك أن تقول إنك تعرف ذاته!

هل تعلم له مثيلًا؟ هل تعلم له سميًا؟ لا، ليس كمثله شيء.

بقي معنا الخبر الصادق، من أين لك الخبر عن صفات الله؟ ما لك خبر إلا عن طريق الكتاب والسّنة، فهل في الكتاب والسّنة أتاك خبر عن كيفية الصفة؟ أم أتاك خبر عن الصفة؟ لم يأتك خبر إلا عن الصفة.

إذًا نقول: من الباطل تكييف صفات الله، وهذا أول رد عقلي أن الطرق لمعرفة كيفية الشيء ثلاثة، إما رؤيته أو رؤية مثيله أو الخبر الصادق عنه.

والرد الثاني:

(و أيضا فإننا نقول: أيُّ كيفية تقدّرها لصفات الله تعالى؟ إن أيَّ كيفية تقدّرها في ذهنك فالله أعظم وأجلُّ من ذلك، وأيَّ كيفيَّة تقدّرها لصفات الله تعالى فإنك ستكون كاذبًا فيها؛ لأنه لا علم لك بذلك

وحينئذ يجب الكفُّ عن التَّكييف تقديرًا بالجنانِ، أو تقريرًا باللسان وتحريرًا بالبنان)

بالجنان أي: بقلبك يعني لا تقدّر بقلبك ولا تتوهم ولا تقدّر في نفسك كيفية لصفات الله .

(ولهذا لما سُئل مالك -رحمه الله- تعالى عن قوله تعالى: {الرّحمن عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى} كيف استوى؟، أطرق -رحمه الله- برأسه حتى علاه الرُّحَضَاء (العرق) ثم قال: (الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعه)، ورُوِيَ عن شيخه ربيعة أيضًا: (الاستواءُ غير مجهول، والكيف غير معقول.) وقد مشى أهل العلم بعدهما على هذا الميزان)

وهذا الميزان يستعمل في جميع الصفات، الذّاتيَّة منها والفعليَّة، أما نفينا لكيفية الصفات فهذا ليس معناه نفي أن تكون هناك صفة، الكيفيات لها صفات لكن كيفيات لا نعقلها ولا نستطيعها، وأنت إذا أردت أن تخاطب معاصر وتقول له: (لا علاقة لك بكيفية الصفة، أنت أثبت الصفة ولا تبحث عنها لا في عقلك ولا في كتبك.)

يقول: (أنا لا أستطيع أن أتعامل مع شيء لا أعرف كيفيته، إذا قلتم لي: (الله بصير وسميع) لابد أن يبحر عقلي كيف يسمع وكيف يبصر)!

نقول له: (عقلك يستطيع أن ينتفع بالخبر عن الصفات دون أن يعلم كيفيتها.)

إذا قال: لا، نقول: كذبت فأنت الآن تستعمل كل الوسائل الحديثة في الاتصالات مثل الجوالات والرسائل والبريد الالكتروني وإرسال الفاكسات وكيف هذا تستعمله وهو من خلق البشر ولا تجد غضاضة في نفسك دون أن تعلم كيفية انتقال الحروف فهل وجدت في نفسك قول إنك لن تستعمل الأجهزة إلا إذا شرحوا لك كيفية صفات انتقال الحروف في رسائل الفاكسات أو في البريد الالكتروني أو في رسائل الجوال؟! الجواب: لا، فإذًا إذا كان هذا حالك فاعلم أن صفات الله أولى، يعني إذا كان عقلك لا يستطيع وصف كيفية أفعال المخلوقين، فكيف تريد أن تكلمني عن صفات خالقهم ومالكهم؟!

قال: (وإذا كان الكيفُ غيرَ معقول ولم يَرِد به الشرع، فقد انتفى عنه الدليلان العقلي والشرعي، فوجب الكف عنه.

فالحذرَ الحذرَ من التكييف أو محاولته، فإنك إن فعلت وقعت في مفاوز -في مهالك- لا تستطيع الخلاص منها، وإن ألقاه الشيطان في قلبك فاعلم أنه من نزغاته، فالجأ إلى ربك فإنه معاذك، و افعل ما أمرك به فإنه طبيبك، قال الله تعالى: {وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ}(١))

(طبيبك) هنا وصف لله عز وجل، قال النبي -صلّى الله عليه وسلّم- (اللهُ الطَّبيبُ)(٢)

وهو وصف وذكره البيهقي والقرطبي وابن العربي على أنه اسم من أسمائه.

على كل حال سيأتينا في أدلة الأسماء كيف حصل الخلاف بين العلماء في إثبات الأسماء لأنه أتت أسئلة المرة الماضية عن مسألة الخلاف بين العلماء في إثبات الأسماء.

---

(١) فصلت: ٣٦.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٢٠٧)، وأحمد (١٧٥٢٧) مطولاً، صححه الألباني.

بهذا نكون انتهينا من القاعدة السادسة في قواعد الصفات، تبقى لنا في قواعد الصفات القاعدة السابعة ثم نبدأ في أدلة الأسماء والصفات، نرجو الله -عزّ وجلّ- أن يتيسر لنا أن ننتهي المرة القادمة منها.

أنتم ترون أن الدراسة من سهل إلى أعلى، فتحتاج المسألة إلى كثير استعانة، أسأل الله أن يعينني ويعينكم ويجعلنا ممن يقال لهم: قوموا مغفورًا لكم ويجعلنا ممن انشغل بطاعته فكان الانشغال بالعلم دليل رضا الله علينا لأنك ترى حولك من قضى وقته متعلقًا بالدنيا والأسوأ منهم عندما ترى قوم يحسبون أنهم يحسنون صنعًا وهم انشغلوا بما يضر قلوبهم ويذهب بحسناتهم مبتدعين في دين الله ما لا يشرعه الله، مستحلين المعاصي معتقدين أنها قربى، نسأله -سبحانه وتعالى- بمنه وكرمه أن يجعلنا ممن انتفع بعطاياه وبرزقه ونسأله أن يجعل هذه الاجتماعات المباركة سببًا لرفعتنا عنده.

جزاكم الله خيرًا نلقاكم على خير.

اللقاء السادس

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ به من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

لازلنا في كتاب القواعد المثلى ونحن الآن في القاعدة الأخيرة من قواعد الصفات وهي القاعدة السابعة:

[القاعدة السابعة: صفاتُ الله تعالى توقيفيةٌ لا مجالَ للعقل فيها فلا نثبت لله تعالى من الصفاتِ إلا ما دلَّ الكتاب والسّنة على ثبوته]

هذه القاعدة نظير قاعدة في الأسماء: (إن أسماء الله تعالى توقيفية) وكذلك صفات الله تعالى توقيفية لا مجال للعقل فيها، فلا نُثبت لله تعالى من الصفات إلا ما دل الكتاب والسّنة على ثبوته.

(قال الإمام أحمد -رحمه الله- تعالى: (لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم، لا يُتَجاوز القرآن والحديث.) انظر: القاعدة الخامسة في الأسماء)

وهذا أمر واضح وقد سبق الاستدلال عليه بثلاثة أدلة في قاعدة الأسماء لأن الشيخ يقول: (**انظر: القاعدة الخامسة في الأسماء**) اتفقنا فيها أنه يجب الوقوف في أسماء الله تعالى على ما جاء به الكتاب والسّنة لا يزاد فيها ولا ينقص، لماذا؟ اتفقنا على ثلاثة أسباب:

السبب الأول: إن العقل لا يمكنه إدراك ما يستحقه تعالى من الأسماء فوجب الوقوف في ذلك على النص.

السبب الثاني: ورود الأدلة بمنعنا أن نقْفُ ما ليس لنا به علم وأن نقول على الله بلا علم، فتسمية الله أو وصفه بما لا يصف به نفسه هذا نوع قَفْو بما ليس لنا به علم والقول على الله بلا علم.

السبب الثالث: أن تسمية الله بما لم يسمِّ به نفسه جناية في حق الله، كذلك وصفه تعالى بما لم يصف به نفسه أيضًا جناية في حقه.

إذًا هذه الأسباب التي تجعلنا لا نثبت لله من صفات إلا ما دلَّ الكتاب والسّنة على ثبوتهما.

قال الإمام أحمد -رحمه الله- تعالى: (لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم، لا يُتَجاوز القرآن والحديث)

فنحن لا نتكلم على الله ولا نصفه إلا بما وصف به نفسه والناس في هذا طرفان ووسط، طرف: نفى حتى ما وصف الله به نفسه.

وطرف: عندما أثبت صفات الله أثبت من عنده صفات أو عندما أثبت صفات الله شبهها بصفات الخلق.

فالمصدر في وصف الله -عزّ وجلّ- الكتاب والسّنة بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله.

(**لا يُتَجاوز القرآن والحديث**) يعني هذا المصدران.

نأتي الآن إلى كيف يدل الكتاب والسّنة على ثبوت الصفة قال:

(ولدلالة الكتاب والسّنة على ثبوت الصفة ثلاثةُ أوجهٍ)

في مقابل أن دلالة الكتاب والسّنة على الاسم كم طريق لها؟ ليس لها إلا طريق واحد وهو التنصيص عليه يعني عندما نأتي نقول لك: كيف يدل الكتاب والسّنة على الأسماء؟ لا طريق لإثبات الاسم إلا بالنص عليه يعني أن يأتي الاسم على وزن اسم فاعل أو على وزن اسم مفعول، قادر مقتدر المهم أن ينص الله -عزّ وجلّ- في كتابه على الاسم.

انظر للصفات قال الشيخ:

(ولدلالة الكتاب والسّنة على ثبوت الصفة ثلاثةُ أوجهٍ:

الأول: التصريحُ بالصفةِ، كالعزة والقوَّةِ والرَّحمةِ والبطشِ والوجهِ واليدين، ونحوِها)

هذه الصفات وردت في كتاب الله بلفظ صريح أنها صفة يعني أتت بالمصدر مثل قوله تعالى: {إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا}(١)

وأيضا في القوة: {إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ}(٢)

وفي الرّحمة: {أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ}(٣)

(١) يونس:٦٥.

(٢) الذاريات:٥٨.

(٣) البقرة: ٢١٨.

وفي البطش: {إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ}(١)

في الوجه: {وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ}(٢)

في اليد: {مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ}(٣)

والتصريح بالصفة يكون في الكتاب وفي السّنة، فالله -عزّ وجلّ- يذكر صفاته، أي: المعاني القائمة به سبحانه وتعالى، وهذه الطريقة في إثبات الصفات تسمى طريقة: التصريح بالصفة.

نأتي الآن للنوع الثاني قال:

(الثاني: تضمُّنُ الاسمِ لها، مثل: الغفور متضمِّن للمغفرة، والسميع متضمن للسمع، ونحو ذلكَ. انظر: القاعدة الثالثة في الأسماء)

أريد منكم أن تنظروا في القاعدة الأولى في قواعد الأسماء وانظروا لكلمة (متضمن) ثم ننظر للقاعدة الثالثة، في أول القاعدة عندما ضرب الشيخ ثلاثة أمثلة، ماذا وجدتم؟ قال اسم (الحيّ) من أسماء الله تعالى متضمن للحياة الكاملة، انظر للعليم متضمن للعلم الكامل، انظر الرّحمن متضمن للرحمة الكاملة، إذًا عُلم من هذا أن أسماء الله تعالى تتضمَّن الصفات فكيف تعلم أن من صفات الله الحياة ومن صفاته العلم ومن صفاته الرّحمة؟ كل اسم يأتيك لابد أن يتضمن صفة، أتى هذا واضحًا في القاعدة الثالثة.

---

(١) البروج: ١٢.

(٢) البقرة: ٢٧٢.

(٣) ص: ٧٣.

ننظر للقاعدة الثالثة عندما ذكر لك تقسيم أسماء الله تعالى من حيث الدلالة قال: (إن أسماء الله إن دلت على وصف متعدٍ تضمنت ثلاثة أمور: ثبوت الاسم وثبوت الصفة، وإذا دلت على وصف غير متعدٍ أثبتنا الاسم والصفة) المهم أنك فهمت أن من طرق إثبات الصفات: ثبوت نفس الصفات لأن الاسم إذا أثبتّه تضمّن صفة.

انظر الآن للطريقة الثالثة:

(الثالث: التصريحُ بفعلٍ أو وصفٍ دالٍّ عليها، كالاستواء على العرش، والنزولِ إلى السماء الدنيا، والمجيءِ للفصل بين العباد يوم القيامة، والانتقامِ من المجرمين، الدالُّ عليها على الترتيبِ قوله تعالى: {الرّحمن عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى}، وقول النبي صلى الله عليه وسلم: (ينزل ربنا إلى السماء الدنيا)[1] الحديث، وقول الله تعالى: {وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا}[2]، وقوله: {إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ}[3])

إذًا من صفاته -سبحانه وتعالى- أنه استوى على العرش وهذه صفة فعليَّة، وهو تصريح بالفعل {الرّحمن عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى}.

(وقول النبي صلى الله عليه وسلم: (ينزل ربنا إلى السماء الدنيا)) إثبات النزول ويتضمن صفة النزول للسماء الدنيا.

وقول الله تعالى: {وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا} المجيء للفصل بين العباد يوم القيامة.

---

(١) أخرجه ابن ماجه (١٣٩٠)، وابن أبي عاصم في (السنة) (٥١٠)، وابن عساكر في (تاريخ دمشق) (٣٢٧/١٨) واللفظ له.

(٢) الفجر: ٢٢.

(٣) السجدة: ٢٢.

(**وقوله:** {**إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ**}) الانتقام، انظر الآن منتقمون هذا اسم فاعل، لماذا لم نعتبره اسم من أسماء الله؟ على ذلك ليس كل اسم فاعل سنثبته اسمًا لله، لابد أن نطبق القواعد التي مضت عليكم سابقًا في قواعد الأسماء فلابد أن يكون منتقمون الآن، منتقمون اسم فاعل انظر في الثالث قال (**التصريح بفعل**) مثل: استوى، ينزل، جاء.

(**أو وصف دال عليها**) كاسم الفاعل فمنتقمون مثال على جملة (وصف دال عليه) لأن اسم الفاعل وصف دال على الفعل، فعندما كان (منتقمون) اسم فاعل ستقولين: لماذا لم يكن اسمًا لله؟ سنقول: إن الانتقام صفة كمال أم صفة نقص؟ على حسب الموصوف بها يعني في حال تكون كمالًا وفي حال تكون نقصًا وأنت أخذت أن أسماء الله كلها حسنى لأنها متضمّنة لصفات كاملة، هذه الصفات الكاملة منفي عنها النقص لا احتمالًا ولا تقديرًا، فالانتقام ليس من الحسن المطلق إنما فيه احتمال، فالانتقام قد يكون في حال كمال وفي حال نقص وهذا فيه احتمال أن يكون نقصًا لذلك لا يسمى الله بها.

هكذا انتهت هذه القاعدة وبهذه انتهينا من قواعد الصفات إلا أن فتياتنا الفاضلات أشكل عليهم فيما مضى سؤال في مسألة الصفات الذّاتيَّة والفعليَّة، فنعود إليه ثم نبدأ في قواعد في الصفات.

سؤال: الاستواء على العرش هل هو صفة ذاتيَّة فعليَّة؟ لأننا في أثناء الكلام قلنا إن كل صفة فعليَّة أصلها ذاتي؟

جواب الأستاذة: استمعوا جيدًا ليزول اللبس وأولًا لا يُزيله إلا الله، نسأله باسمه الفتاح العليم القريب المجيب أن يفتح عليكم ويبين لكم الأمر، عندما أتي إلى الصفات الذّاتيَّة ألا تتفق معي أن من صفاته الذّاتيَّة أنه فعّال لما يريد؟ بلى، يعني هذه الصفة لا تنفك عنه أبدًا، إلى هنا هل هناك إشكال في فهم ذلك؟ ليس هناك إشكال عند أغلبكم.

عندما أتينا الآن اتفقنا أن الشيخ قسّم صفة الفعل إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: جنس، جنس كل الصفات الفعليَّة، أليست كل الصفات الفعليَّة داخلة تحت (فعال لما يريد)؟ بلى، فهذا الجنس الآن، جنس الصفات الفعليَّة اتفقنا أنه ذاتي، كل الصفات الفعليَّة من المؤكد أن الله قادر عليها، فاعلٌ لها، يفعلها متى شاء، لا تنفك عنه، لا أتكلم عن تفاصيلها إنما أتكلم عن أن الله قادر على أن يفعلها، أليس هذا في ذاته؟ الجواب: بلى، إذًا هذه جنس الصفات الفعليَّة، كل الصفات الفعليَّة أصلها سيكون داخل تحت (فعّال لما يريد) وأنت تعلم أن هذه الصفة (فعال لما يريد) لا تنفك عن ذاته.

أتى تحت الجنس قال: فعله لما يريد ينقسم إلى قسمين: الآن سيتكلّم الشيخ عن النوع، يعني أصبح جنس الأفعال ذاتي.

نفس الأفعال فيها قسمان -من جهة النوع- :

هناك من النوع -سأستعمل الجملة التي يستعملها أهل الكلام لتفهموا- (قديم) وهذه الكلمة تقابل كلمة (ذاتي) لكن اكتب (قديم) لتفهم المقصود. (القديم) يعني يرجع إلى أنه ذاتي.

وهناك حادث.

ما الفرق بين القديم والحادث؟ كلها فعل لكن هناك فعل قديم وهناك فعل حادث.

نبدأ بالحادث أولًا لتتصوروا:

الحادث: هو الفعل الذي حدث بعد أن لم يكن موجودًا فالاستواء على العرش متى حدث؟ بعد خلق العرش، المجيء للقضاء يوم القيامة متى سيكون؟ بعد البعث يعني

عندما يحدث البعث تحدث هذه الصفة من الله -عزّ وجلّ-، النزول إلى السماء الدنيا متى حدث؟ بعد خلق السماوات والأرض، هذه اسمها: أفعال حادثة لكن الأفعال القديمة مثل الكلام، الخلق، الإرادة، إذا نظرت لها بنظرة ستقول: أفعال (يريد، يتكلّم، يخلق.)

إذا نظرت لها بنظرة أخرى ستقول إن الله -عزّ وجلّ- لا زال وما زال متكلّما يتكلّم بما شاء وقتما شاء، فعندما تقول: (ما زال ولا زال) دخلت على الذّاتي وعندما تقول: إنه يتكلّم أو يريد دخلت على الفعلي.

لكن انظر أنا أريد منك تصور الآن الآحاد هذا القسم الثالث: الآحاد، الأفراد هذه الأفراد لن يكون فيها قسمين الآن عندما تحصل الأفراد كلها فعليَّة يعني النزول والاستواء والمجيء والإرادة والخلق كل مرة يتكلّم فيها الله هذا فعل، المرة الواحدة التي يخلق فيها الله هذا فعل، إذًا الآحاد كلها فعليَّة.

انظر الآن لتفهم المسألة جيدًا سأضرب مثال بصفة الكلام إذا أتيت أسألك وأنت صامت: هل أنت متكلّم أم لست متكلّم؟ إذا قارنتك بالأخرس ستكون متكلّم حتى إذا سكت، فالكلام فيك صفة ذاتيَّة وأنت ساكت نقول عنك إن فيك صفة الكلام إذا قارنتك بالأخرس.

إذا أتينا إلى المرة الواحدة التي تتكلم أنت فيها ماذا ستكون؟ أصبح منك الكلام فعلًا. سأنظر الآن إلى الآحاد كتبت في الآحاد: الاستواء والنزول والكلام والإرادة. انظر معي عندما نقول: النزول إلى السماء الدنيا مثل الكلام من جهة أنه فعل وهذه في المرة الواحدة التي يحصل فيها.

ارجع للنوع النزول سيكون مع الحادث.

إذًا صحيح هو فعل في آحاده وأيضًا حادثٌ في نوعه، فالذي هو فعلٌ في آحاده وحادث في نوعه أصبح هو الصفة الفعليَّة فقط، أليس لديك الاستواء والنزول والمجيء والإرادة، الاستواء والنزول (في الآحاد) نجمعهم مع الحادث (في النوع)، فالاستواء حادث إذًا هو فعلي.

ننظر للكلام والإرادة آحاده فعل لكن أصله فيك ونوعه قديم فحتى إذا لم تتكلم لكنك متكلّم فيصبح قديمًا فإذا كانت الآحاد فعل والنوع قديم إذًا هذه ذاتيَّة فعليَّة وإذا كانت الآحاد فعلًا والنوع حادث هذه نسميها: صفة فعليَّة.

انظر للمثال الذي ضربه الشيخ ولكلامه في الصفات الذّاتيَّة والفعليَّة: الاستواء والنزول أثبتها فعليَّة، وعلى الذّات الفعلي أثبت الكلام.

فعندما تنظر للذاتي والفعلي تقول: جنس ونوع وآحاد، والجنس عائد لأصل الصفة أن كل الأفعال عائدة لوصفه -سبحانه وتعالى- أنه فعال لما يريد.

انظر للأفعال لها نوعان: حادث، قديم.

انظر للآحاد (المرة الواحدة التي تحدث فيها الأفعال) ستجد أنه فعلي.

نبتدئ في قواعد في أدلة الأسماء والصفات، عقد الشيخ هذا الباب مع كثرة مناهج المتعاملين مع كتاب الله وسنَّة النبي -صلى الله عليه وسلم- فالمتعاملون مع كتاب الله -عزّ وجلّ- وسنَّة النبي -صلّى الله عليه وسلّم- لهم طرق في توجيه النصوص فوجب معرفة القواعد في ضبط المنهج مع الأدلة كيف نستدل؟ كيف نتعامل مع الأدلة؟ قال:

[قواعد في أدلةِ الأسماء والصِّفات]

[القاعدةُ الأولى: الأدلَّة التي نُثبتُ بها الأسماءَ لله تعالى وصفاتِه هي: كتاب الله تعالى وسنَّة رسوله -صلى الله عليه وسلم- فلا تُثبتُ أسماءُ الله وصفاتُه بغيرهما]

ماذا قد يكون غيرهما؟ قد يكون القياس، قد يكون الاستحسان العقلي، فتأتي تسمع أحد يقول: (إن الله -عزّ وجلّ- سخيٌّ) بناء على أنه قاس على اسم الجواد! فنقول: لا، هذا لا يصلح بحال.

قال: (وعلى هذا: فما ورد إثباتُهُ لله تعالى من ذلكَ في الكتاب والسّنة وجب إثباته، وما ورد نفيُهُ فيهما وجب نفيُهُ مع إثبات كمال ضدَّه).

إذًا نوع أتى مثبتًا وجب عليك إثباته، ونوع أتى منفيًا في كتاب الله يجب عليك نفيه وإثبات كمال ضده.

النوع الثالث الذي سيطول النقاش فيه قال:

(وما لم يرد إثباته ولا نفيه فيهما وجب التوقف في لفظه، فلا يُثْبَتُ ولا يُنْفَى، لعدم ورود الإثبات والنفي فيه.

وأمَّا معناه: فيُفصَّل فيه؛ فإن أريد به حقٌّ يليقُ بالله تعالى فهو مقبول، وإن أريد به معنًى لا يليق بالله -عزّوجلّ- وجب ردّه).

أريد منكم استخدام أقلام بلون مختلف ونرقّمْ سويًا:

١. فما ورد إثباته لله تعالى من ذلك في الكتاب والسّنة وجب إثباته.

٢. وما ورد نفيه فيهما.

٣. وما لم يرد إثباته ولا نفيه.

نأتي الآن لشرح النقطة الأولى:

(فما ورد إثباته لله تعالى من ذلك في الكتاب والسّنة وجب إثباته):

قال:

(فمِمَّا ورد إثباتُهُ لله تعالى:

أ- كلُّ صفةٍ دلَّ عليها اسمٌ من أسماءِ الله تعالى دلالةَ مطابقةٍ أو تضمُّنٍ أو التزامٍ)

إذًا هذا مما ورد إثباته لله تعالى من الصفات: كل صفة دل عليها اسم. إذًا سنثبت الاسم وسنثبت الصفة، وهذه الصفة سواء أثبتت بدلالة المطابقة أو أثبتت بدلالة التضمن أو أثبتت بدلالة الالتزام؛ نثبتها كلها.

ب- (ومنه كلُّ صفةٍ دلَّ عليها فِعْلٌ من أفعالِه، كالاستواء على العرش، والنزولِ إلى السماء الدنيا، والمجيء للفصل بين عباده يوم القيامة، ونحو ذلك من أفعاله التي لا تحصى أنواعُها، فضلًا عن أفرَادِها {وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ}[1].)

---

(١) إبراهيم: ٢٧.

هذه نقطة (ب) من جهة ما ورد إثباته، كل صفة دل عليها فعل من أفعاله، فنحن نثبت الصفة التي دل عليها الفعل.

ت- (ومنه: الوجه والعينان واليدان ونحوُهَا.)

(ومنه) أي: هذا ما نُصّ فيه على الصفة، وهي صفات اتفقنا على تسميتها: ذاتيَّة خبريَّة فقال: (الوجه والعينان واليدان ونحوُهَا)

ث- (ومنه: الكلامُ والمشيئةُ والإرادة بقسميها الكوني والشرعي، فالكونيةُ: بمعنى المشيئة. والشرعية: بمعنى المحبةُ.)

وهذه كلها صفات ذاتيَّة فعليَّة.

ج- (ومنه: الرّضا والمحبةُ والغضبُ والكراهة ونحوها.)

وهذه فعليَّة.

إذًا هذا كله شرح لأي نقطة؟ (فمِمَّا ورد إثباتُهُ لله تعالى:)

فمما ورد إثباته لله لدينا خمس نقاط مما ورد إثباته في كتاب الله كل صفة دل عليها اسم وكل صفة دل عليها الفعل وكل صفة ذاتيَّة خبريَّة وكل صفة ذاتيَّة فعليَّة وكل صفة فعليَّة، وإذا فهمت سترى قوة ومتانة فعل الشيخ أنه بهذه الطريقة رتب لك متنه.

انتهينا من شرح النقطة الأولى، نأتي الآن إلى النقطة الثانية:

(وما ورد نفيه فيهما)

ورد نفيه من أجل انتفائه وثبوت كمال ضده قال:

(ومما ورد نفيه عن الله سبحانه لانتفائه وثبوت كمال ضده: الموتُ والنوم والسِّنة والعجز والإعياء والظلم والغفلة عن أعمال العباد، وأن يكون له مثيل أو كفءٌ، أو نحو ذلك) تعالى الله عما يقولون.

انتهينا من شرح النقطة الثانية نأتي للنقطة الثالثة:

(وما لم يرد إثباته ولا نفيه.)

قال: (ومما لم يرد إثباته ولا نفيه لفظ: (الجهة))

الجهة أو الحيز هذه كلها ألفاظ لم يرد إثباتها ولا نفيها، كيف يقولون هم؟ يقولون: إن الله في جهة، نحن نقول: هذه اللفظة لا وجود لها لا في الكتاب ولا في السنة لا على وجه الإثبات ولا على وجه النفي، فماذا نفعل إذا كانت الكلمة التي استعملت لم ترد لا إثباتًا ولا نفيًا؟

قال: (فلو سأل سائل: هل نثبت لله تعالى جهةً؟ قلنا له: لفظ الجهة لم يرد في الكتاب والسُّنةَّ إثباتًا ولا نفيًا، ويُغني عنه ما ثبت فيهما (يقصد في الكتاب والسّنة) من أن الله تعالى في السماء. وأمَّا معناه) معنى الجهة. لماذا يناقش المعنى؟ نذكر هنا قاعدة لابن تيمية، عنوانها: طريقة أهل السّنة مع الألفاظ المجملة يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: (يُوقَف اللفظ ويفسّر المعنى) من أجل ذلك كان موقف الشيخ في كلمة (جهة) قال: (لفظ الجهة لم يرد في الكتاب والسّنة إثباتًا ولا نفيًا، ويُغني عنه ما ثبت فيهما من أن الله تعالى في السماء) إذًا توقّف الشيخ في اللفظ، قال: نتوقف. يعني بما أن هذه اللفظة ليس لها وجود في القرآن والسنة إذًا نتوقف.

نأتي إلى المعنى الآن ونطلب له تفسيرًا لأن المعنى المراد يحتمل أن يكون معنى باطل ويحتمل أن يكون معنى حق، فإذا أثبتنا ربما حمل معنى غير مراد وإذا نفينا ربما نفينا

حق؛ لأن القاعدة تقول: (يوقف اللفظ ويفسر المعنى) فلفظ (الجهة) الآن لا نستعمله لكن نأتي نسأله نقول له: ماذا قصدت بلفظة الجهة؟ يقول الشيخ:

(وأمَّا معناه: فإما أن يراد به جهةُ سفل أو جهة علوٍّ تحيط بالله، أو جهة علوٍّ لا تحيط به

فالأول: -فإما أن يراد به جهة سفل- باطلٌ، لمنافاته لعلو الله تعالى الثابت بالكتاب والسّنة والعقل والفطرة والإجماع.

والثاني: -جهة علو تحيط بالله- باطلٌ أيضًا؛ لأن الله تعالى أعظم من أن يحيط به شيء من مخلوقاته.

والثالث: -جهة علو لا تحيط به- حق؛ لأنَّ الله تعالى العليُّ فوق خلقه ولا يحيط به شيء من مخلوقاته.

ونعود ونقول لمن قال لفظة (الجهة): إن لفظ الجهة لا نستعمله نتوقف في اللفظ ونفسر المعنى.

قال الشيخ:

(ودليل هذه القاعدةِ السَّمع والعقل.

فأمَّا السَّمع: فمنه قوله تعالى: {وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ}[1]

---

(١) الأنعام: ١٥٥.

أين الشاهد؟ في قوله {اتَّبِعُوهُ وَ اتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} أي: اتبعوه فيما يأمر به وينهى عنه.

وقوله: {فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَ اتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ}(١)

الشاهد: {وَ اتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ}.

وقوله: {وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا}(٢)

وقوله: {مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا}(٣)

{مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ} يعني من يطيعه في تصديق خبره وإثبات ما أثبته الله لنفسه {وَمَنْ تَوَلَّى} عن طاعة الله والرسول فإنه لا يضر إلا نفسه {فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا}.

وقوله: {فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا}(٤)

يعني أمر برد كل ما تنازع الناس فيه من فروع الدين وأصوله إلى كتاب الله وسنَّة رسوله.

وقوله: {وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ}(١)

---

(١) الأعراف: ١٥٨.

(٢) الحشر: ٧.

(٣) النساء: ٨٠.

(٤) النساء: ٥٩.

يحكم بما أنزل الله، أي: بالكتاب والسّنة.

إلى غير ذلك من النُّصوص الدالة على وجوب الإيمان بما جاء في القرآن والسنَّة. وكل نص يدل على وجوب الإيمان بما جاء في القرآن فهو دالٌّ على وجوب الإيمان بما جاء في السُّنَّة؛ لأن مما جاء في القرآن الأمر باتِّباع النبي -صلّى الله عليه وسلّم- والرد إليه عند التنازع. والرد إليه يكون إليه نفسه في حياته والى سنته بعد وفاته.

فأين الإيمان بالقرآن لمن استكبر عن اتباع الرسول -صلّى الله عليه وسلّم- المأمور به في القرآن؟

و أين الإيمان بالقرآن لمن لم يَرُدَّ النزاع إلى النبي -صلّى الله عليه وسلّم- وقد أمر الله به في القرآن؟)

هذه كلها استفهامات استنكارية يُقصد بها أن من لم يتبع الرسول لم يؤمن بالقرآن وأن من لم يرد التنازع للنبي فإنه لم يؤمن بالقرآن يقول:

(و أين الإيمان بالرسول -صلّى الله عليه وسلّم- الذي أمر به القرآن لمن لم يقبل ما جاء في سنَّته؟

ولقد قال الله تعالى: {وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ}(٢)، ومن المعلوم أن كثيرًا من أمور الشريعة العلميَّة والعمليَّة جاء بيانها بالسنَّة فيكون بيانها بالسنَّة من تبيان القرآن)

---

(١) المائدة: ٤٩.

(٢) النحل: ٨٩.

هذه الأدلة كلها ما وجه دلالتها على أن الأدلة التي تثبت بها أسماء الله وصفاته هي كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم؟ نقول: نعم، أنت من أجل أن تعرف الله من أين لك أن تعرفه؟ مالك إلا أن تتبع الكتاب {وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ}، {وَهَٰذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ}،{وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ}،{فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ}.

إذًا القرآن أنزله الله تبيانًا لكل شيء، لكل شيء يحتاجه الناس من أمر الشريعة إما بتبيانه في نفس الكتاب أو بإحالته إلى السنَّة، فأنت تجد نفسك لا يمكن أن توصف بأنك مؤمن بالكتاب والسّنة وأنت تستعمل غيرهما للهدى فلا شيء تحتاجه ولا تجده في كتابك ولا سنَّة نبيّك.

أتى بالدليل العقلي قال:

(وأمّا العقل فنقول: إن تفصيل القول فيما يجب أو يمتنع أو يجوز في حق الله تعالى من أمور الغيب التي لا يمكن إدراكها بالعقل، فوجب الرجوع فيه إلى ما جاء في الكتاب والسّنة)

إذًا إذا قيل لك: لماذا لا نثبت أسماء الله وصفاته إلا من كتاب الله وسنَّة الرسول؟ نقول: لأن الله -عزّ وجلّ- جعل هذا الكتاب تبيانًا لكل شيء {وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ} ولأن هذا الكتاب هو الذي أُمرنا باتّباعه وهذا النبي هو الذي أُمرنا باتّباعه وإذا أطعنا الرسول أطعنا الله، فإذا تركنا طاعة الرسول معناه تولّينا، هذا كله دليل على أن ما لم يثبت في كتاب الله وسنّة رسوله من أسماء الله وصفاته لا نُثبته.

القاعدة الثانية من قواعد أدلة الأسماء والصفات قال:

[القاعدة الثانية: الواجب في نصوص القرآن والسنَّةِ إجراؤها على ظاهرها دون تحريفٍ، لاسيَّما نصوص الصفات، حيث لا مجال للرأي فيها]

هنا الشيخ بعد أن قرر في القاعدة السابقة أن مصدرنا في معرفة صفات الله وأدلتنا التي نستعملها فتُثبت لنا صفات الله هي الأدلة المأخوذة من الكتاب والسّنة، الآن يقرر لنا كيف نتعامل مع هذه الأدلة الواردة في الكتاب والسّنة، قال: (**إجراؤها على ظاهرها**) الذي يظهر مباشرة الظاهر، الواضح، البيّن (**دون تحريف، لاسيَّما نصوص الصفات، حيث لا مجال للرأي فيها، ودليل ذلك: السَّمع والعقل.**)

أتى بأدلة من الكتاب تدل على أنه يجب علينا إجراؤها على ظاهرها قال:

(**أما السَّمع: فقوله تعالى: {نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ}**[1]**، وقوله: {إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ}**[2]**، وقوله: {إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ}**[3])

على ماذا تدل هذه الأدلة؟ دليل سورة الشعراء يدل على أنه يجب علينا إذا جاءنا شيء من القرآن والسنَّة أن نُجريه على ما يقتضيه هذا اللفظ في اللسان العربي لأن الله -عزّ وجلّ- عندما نزّل هذا القرآن نزّله باللسان العربي ووصف هذا اللسان بأنه (مُبين) فإذا أردت أن تفهم شيئًا منه فافهم اللسان الذي نزل به وافهمه على مقتضى اللسان الذي نزل به.

---

(١) الشعراء: ١٩٣-١٩٥.

(٢) يوسف: ٢.

(٣) الزخرف: ٣.

نرى آية يوسف والزخرف: {إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} نفس دلالتها {إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} (لعلكم تعقلون) في يوسف والزخرف تعليل لإنزاله باللغة العربية، لماذا أنزله بالعربية؟ (لعلكم تعقلون) أي: لأجل أن تعقلوا معانيه، ما علاقة إنزاله بالعربية من أجل أن تعقلوا معانيه؟ المعنى أنه نزل بلغتكم فلابد أن تفهموه.

(وهذا يدل على وجوب فهمه على ما يقتضيه ظاهره باللِّسان العربي إلَّا أن يمنع منه دليل شرعي).

(**وهذا**) يعني آية الشعراء ويوسف والزخرف كلها تدل على أنه يجب عليك أن تفهمه على ما يقتضيه ظاهر اللسان العربي الذي نزل به.

ثم أتى استثناء من الشيخ قال: (**إلَّا أن يمنع منه دليل شرعي**) أي أن هذه الآيات تدلك على أنه يجب عليك أن تفهم هذه النصوص على ظاهرها إلا إذا منع منه دليل شرعي فإنه يتُرك هذا الظاهر.

في الهامش نضيف لفهم هذا الاستثناء نكتب: أقسام التأويل ونقول:

إن الأصل أن تُجري اللفظ على ظاهره إلا أن يأتي ما يمنع من إجرائه على ظاهره، هذا الذي يمنع من إجرائه على ظاهره لابد أن يكون دليلًا شرعيًا، يعني الدليل العقلي لا ينفع في منع إجراء النصوص على ظاهرها، يعني لا يأتي من يقول: (لا أستطيع أن أقبل بالعقل) نقول: لا، عليك أن تُبقي النصوص على ظاهرها حتى إذا لم يقبل عقلك لكن يمكن أن تُحمل النصوص على غير الظاهر إذا أتى دليل شرعي يجعلني أحملها على غير الظاهر.

فيتبين من هذا أن الذين حملوا النصوص على غير ظاهرها نوعان وقسمان:

- قسم أوّل النصوص تأويلًا مذمومًا، ما هو التأويل المذموم؟ أن يأتي إلى النصوص وينقلها عن ظاهرها بعلّة عقليَّة قال: (إن هذا الأمر عقلًا لا يُقبل) هذا نسميه: تأويل مذموم. وهو الذي وقع فيه المعطِّلة.

- تأويل محمود وهو الذي يُحمل عليه حديث الرسول -صلّى الله عليه وسلّم- في دعائه لابن عباس: (اللَّهمَّ فقِّهْهُ في الدِّين، وعلِّمْهُ التَّأويل)[1]، فما المقصود به في الحديث؟ المقصود بالتأويل في الحديث هو: فهم النص فهمًا تدل عليه القرائن فهو في ظاهره -هذا التأويل المحمود- صرْف اللفظ عن ظاهره لكن صُرف اللفظ عن ظاهره لقرينة فيه.

نضرب مثالًا على ذلك بقوله تعالى: {أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ}[2] عندما تُفسّر هذه الآية ماذا تقول؟ تقول: (أتى أمر الله) أي: سيأتي، بقرينة ماذا؟ بقرينة قوله: (فلا تستعجلوه.)

لماذا يُفسّر الفعل الماضي (أتى) بـ (سيأتي) أمر الله؟ لأن كلمة (فلا تستعجلوه) تدلك على أن الأمر لم ينقضِ لكنه سيأتي وكما هو معلوم عند البلاغيين: إن الفعل المضارع عندما يُخبر عنه بالماضي فهذا إشارة إلى تحقيقه، إلى أنه لابد أن يتحقق.

وفي قوله: {أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ} القرينة متصلة هنا، يعني فُسّر (أتى) بـ(سيأتي) هنا صرْف للّفظ عن ظاهره فعندما صرفنا اللفظ عن ظاهره أصبح تأويلًا لكن لأن هناك قرينة (فلا تستعجلوه) أصبح تأويلًا محمودًا.

---

(١) أخرجه البخاري (١٤٣)، ومسلم (٢٦٤٥) مختصرًا، وأحمد (٢٣٩٧) واللفظ له.

(٢) النحل: ١.

أنتم ماذا تقولون في قوله تعالى: {فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ}[1]؟ اشرح لي هذه الآية.

الآن ترون أن تفسير الآية أنه عند قرائتك للقرآن فاستعذ بالله مع أن الآية (إذا قرأت) وهذا فعل ماضي، فظاهر الآية متروك وهو: (إذا قرأت القرآن)، ما هي القرينة التي جعلتكم تقولون على الفعل الماضي (إذا قرأت وانتهيت) يعني إذا أردتم التفسير بظاهر اللفظ يعني بعد انتهائك من القراءة فاستعذ بالله، لكنكم قلتم (إذا قرأت) يعني: إذا أردت أن تقرأ فمن أين لك أن الاستعاذة تسبق القراءة؟ هذا بقرينة أن النبي -صلّى الله عليه وسلّم- كان يستعيذ عند الشروع في القراءة فهذه تعتبر قرينة منفصلة.

كان هذا فهم معنى جملة (إلَّا أن يمنع منه دليل شرعي).

الأمر الثاني في الدليل السَّمعي:

(وقد ذم اللهُ تعالى اليهود على تحريفهم، وبيَّن أنهم بتحريفهم من أبعد الناس عن الإيمان، فقال: {أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ}[2] وقال تعالى: {مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا}[3] الآية)

الشاهد هنا أن الله ذمّ واستنكر على اليهود لأنهم حرّفوا كلامه من التوراة فجعلوا الحلال حرامًا وبالعكس وزادوا ونقّصوا فحرّفوا صفاته، فالقاعدة تقول: الواجب في نصوص الصفات إجرائها على ظاهرها بدون تحريف، ما الذي يجعلك تجريها على

(١) النحل: ٩٨.

(٢) البقرة: ٧٥.

(٣) النساء: ٤٦.

ظاهرها؟ أن الله أنزل القرآن بلسان عربي مبين، أن الله علل أنه أنزله بلسان عربي مبين من أجل أن تعقل.

لماذا يجب عليك أن تبعد عن التحريف وتحمله على ظاهره؟ لأن الله ذم اليهود على تحريفهم.

إذًا أتى بدليل على شقيّ القاعدة، يجب عليك إجراؤها على ظاهرها وإجراؤها على ظاهرها دون تحريف، هذا لكل النصوص لاسيّما نصوص الصفات وأتى بدليل على أن الله ذم التحريف فابتعد عنه بأن تُجري النصوص على ظاهرها.

الآن أتى الدليل العقلي، قال:

(وأما العقل فلأن المتكلّم بهذه النصوص أعلم بمراده من غيره)

المتكلّم بهذه النصوص يقصد الكلام عن الله وعن نبيه -صلّى الله عليه وسلّم-

(وقد خاطبنا باللِّسان العربي المبين، فوجب قَبوُله على ظاهره)

إذًا انظر وفكر بعقلك فالذي يتكلّم هو الأعلم بمراده من غيره وخاطبنا بلسان عربي مبين، فهو أراد أن يفهمنا عنه أنه موصوف باليد وأراد أن يفهمنا عنه أنه ينزل للسماء الدنيا فإما أن تقول: لا يعلم مراده! أو تقول: يعلم مراده لكن ما استطاع أن يبينه لنا! وكل هذا لا تجرؤ على قوله في حق الله.

وأيضًا من الدلالة العقليَّة أننا نقول: لو لم نجرِ النصوص على ظاهرها (**لاختلفت الآراء وتفرقت الأمة**.)

بهذا تنتهي القاعدة الثانية.

اللقاء السابع

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أسأل الله -عزّ وجلّ- بمنه وكرمه أن يجعلنا هداة مهتدين وأن يجعلنا مباركين أينما كنا اللهم آمين.

لازلنا في الكلام حول القواعد في الصفات، أخذنا قواعد في الأسماء وأخذنا قواعد في الصفات والآن قواعد في أدلة الأسماء والصفات، مرّ معنا في هذه القواعد:

القاعدة الأولى: أن الأدلة التي تُثْبَت بها أسماء الله تعالى وصفاته هي كتاب الله وَّسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، فليس لنا إلا هذان المصدران: الكتاب والسّنة كما ذكر الإمام أحمد (**نصف الله بما وصف به نفسه، لا نتجاوز القرآن والحديث**.)

ثم تأتي القاعدة الثانية مبنية على القاعدة الأولى: إذا كان ليس لكم مصدر إلا الكتاب والسّنة إذًا يجب عليكم عندما تنظرون إلى نصوص الكتاب والسّنة يجب عليكم إجراؤها على ظاهرها، ظاهرها الذي يقتضيه اللسان العربي لأن الله -عزّ وجلّ- أخبر أنه نزّل هذا الكتاب بلسان عربي مبين وأخبر أن هذا الكتاب نزل عربي من أجل أن تعقلوا، فهذا كله يدل على وجوب فهمه على ما يقتضيه ظاهر اللسان العربي.

ثم ذكر الشيخ هنا استثناء (**إلَّا أن يمنع منه دليل شرعي**) والمقصود أن الأصل ألّا تؤوِل نصوص الكتاب والسّنة ولا تحملها على غير ظاهرها إلا إذا أتى دليل ينقلها عن ظاهرها، والدليل هذا نسميه (قرينة) تحتمل نقل اللفظ عن ظاهره، وهذا الأمر تناقشنا فيه في اللقاء السابق وتكلمنا في مسألة أقسام التأويل أن منها: التأويل المحمود والتأويل المذموم.

نبتدئ الآن بالقاعدة الثالثة يقول:

[القاعدةُ الثالثةُ: ظواهر نصوص الصِّفات معلومة لنا باعتبار ومجهولة لنا باعتبار آخر، فباعتبار المعنى هي معلومة. وباعتبار الكيفيَّة التي هي عليها مجهولة.]

هذه القواعد مرتبة على بعضها، القاعدة الأولى: مصدرنا الكتاب والسّنة، كيف نتعامل مع نصوص الكتاب والسّنة؟ أجاب في القاعدة الثانية: أننا نتعامل مع نصوص الكتاب والسّنة بإجرائها على ظاهرها، عندما تُجري نصوص الصفات التي من الكتاب والسّنة على ظاهرها ماذا ستجد؟ ستجد أن نصوص الكتاب حال إجراؤها على ظاهرها تكون معلومة لنا باعتبار ومجهولة لنا باعتبار آخر، وهذه هي القاعدة الثالثة.

فانظروا جيدًا:

- بدأ بالقاعدة الأولى في أدلة الأسماء والصفات وقال: مصدرنا الكتاب والسّنة.
- يأتي السؤال كيف نتعامل مع مصدرنا؟ إجراؤها على ظاهرها.
- عندما نجريها على ظاهرها، فعندما أجري نصوص الكتاب على ظاهرها ماذا وجدت؟ وجدت أنها ستكون معلومة لنا باعتبار ومجهولة باعتبار.

قال:

(فباعتبار المعنى هي معلومة. وباعتبار الكيفيَّة التي هي عليها مجهولة)

بمعنى أنه إذا قيل لك إن الله -عزّ وجلّ- يسمع، يبصر، أنت تفهم من السَّمع: إدراك المسموعات، من البصر: إدراك المبصرات، هذا معنى سمع وبصر، فالمعني نفسه معلوم لكن كيف يسمع ؟ كيف يبصر؟ هذا بالنسبة لنا مجهول.

إذًا نصوص الصفات عندما تجريها على ظاهرها تستطيع أن تفهم ماذا يعني أن يسمع؟ ماذا يعني أن يضحك؟ ماذا يعني يحب؟ ماذا يعني يبغض؟ كل هذا معانيها معلومة لكن كيف تكون هذه أو تقع هذه الصفات يعني السؤال عن الكيفية بالنسبة لك مجهول.

ما دليل أنها معلومة باعتبار، مجهولة باعتبار آخر؟ انظر الآن سيأتي الشيخ بدليل سمعي وعقلي، على الجهتين يعني سيأتيك بدليل سمعي وعقلي على أن نصوص الكتاب معلومة على اعتبار أن معانيها معلومة وسيأتيك بدليل سمعي وعقلي على أن كيفية الصفات مجهولة.

عندما قرأت جملة: (**وقد دلّ على ذلك السَّمع والعقل**) على ماذا سيستدل الشيخ؟ سنكتب على أنه سيستدل على أن نصوص الكتاب معلومة باعتبار وأيضًا سيستدل على أن نصوص الكتاب مجهولة باعتبار، فيأتيك كم دليل؟ أربعة أدلة، دليلين من السَّمع ودليلين من العقل، دليل سمعي على أن نصوص الصفات معلومة باعتبار ودليل سمعي على أن نصوص الصفات مجهولة باعتبار الكيفية ثم يأتيك بدليل عقلي على أن نصوص الصفات معلومة باعتبار ودليل عقلي على أن كيفية الصفات مجهولة، فأصبحت أربعة أدلة.

بدأ بالاعتبار الأول وهو باعتبار المعنى، فعندما تنظر إلى نصوص الصفات باعتبار المعنى ستجد أنها معلومة، ما دليلك على أن نصوص الصفات باعتبار المعنى معلومة؟ يعني عندما أسمع: سميع، بصير، عليم، حكيم. هذه المعاني في ذهنك معلومة، ما دليلك؟

قال:

(أمَّا السَّمع: فمنه قوله تعالى: {كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الأَلْبَابِ}[1]، وقوله تعالى: {إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ}، وقوله جلّ ذكره: {وَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ}[2] والتدبُّر لا يكون إلا فيما يمكن الوصول إلى فهمه ليتذكَّر الإنسان بما فهمه منه.

وكون القرآن عربيًا ليعقله من يفهم العربية، يدلُّ على أنَّ معناه معلوم، وإلَّا لما كان فرق بين أن يكون باللغة العربية أو غيرها.)

(فمنه) دائمًا عند الشيخ يقصد أنه أعرض عن كثير من الأدلة، و(من) تبعيضية فيقصد أن هناك أدلة كثيرة تدل على هذا المعنى.

قال: (قوله تعالى: {كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الأَلْبَابِ} (مبارك) لماذا؟ العلّة؟ مبارك أُنزل إليك فيه البركة وهذه البركة لن تحصّلها إلا بماذا؟ {لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ} وأيضًا حالة أخرى: {وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الأَلْبَابِ} إذًا حصول التدبر والتذكر هل يمكن أن يصل إليه الإنسان بدون فهم المعاني؟ هل أنت تتدبر شيء لا تفهم معناه؟ الجواب: لا.

أيضا قوله تعالى: {إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} هذا نفس الدلالة أن تعقل أنك تفهم، وقيل لك: (قرآن عربي) لتفهمه فوصف أنه عربي ليسهل عليكم، لعلكم تعقلون.

---

(١) ص: ٢٩.

(٢) النحل: ٤٤.

ننظر للدليل الثالث: (وقوله جل ذكره {وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ}) ننظر الآن لكلام الشيخ وتعليقه على هذه الآيات، وآية النحل واضحة {لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ} وهل يتبين للناس شيء لا يفهموه؟ هل تستطيع أن تبين للناس شيء أنت لا تفهمه؟ يا من تقرأ كتاب الله وتدعو إلى الله إذا كان هذا الأمر الذي تقرأه ليس بيّن لك فيك تقوم بدورك وتبينه للناس؟!

نقرأ الآن تعليق الشيخ على الآيات بالترتيب قال:

(والتدبُّر لا يكون إلا فيما يمكن الوصول إلى فهمه ليتذكَّر الإنسان بما فهمه منه.

وكون القرآن عربيًا ليعقله من يفهم العربية، يدلُّ على أن معناه معلوم، وإلَّا لما كان فرق بين أن يكون باللغة العربية أو غيرها.)

يعلق الشيخ على قوله (ليدبروا) و (ليتذكر) فهو تعليق على آية ص وهذا ما يسمى (لف ونشر)، لف الأدلة ثم نشر استدلالتها.

التدبر لا يكون إلا فيما يمكن الوصول إلى فهمه فعندما يكون الغرض من إنزال الكتاب التدبر إذًا لا يمكن أن يحصل التدبر إلا عندما يمكن الوصول إلى فهمه ليتذكر الإنسان بما فهمه منه، وكون القرآن عربيًا ليعقله من يفهم العربية، يدلك على ماذا؟ يدل على أن معناه معلوم وإلا لما كان فرق بين أن يكون باللغة العربية أو غيرها. يعني أنت الآن أنزل الله -عزّ وجلّ- إلينا القرآن من أجل أن نعقله وأخبرنا أنه أنزله عربيًّا من أجل أن تعقله فدل ذلك على أنه معناه معلوم عند أهل العربية وإلا لما كان فرق بين أن يكون باللغة العربية أو غيرها، هذا تعليق على آية الزخرف.

الآن على الآية الأخيرة وهي آية النحل قال:

(وبيان النبيِّ -صلّى الله عليه وسلّم- القرآنَ للناس شامل لبيان لفظه وبيان معناه)

يعني أنزل الله القرآن على الرسول ليبينه للناس، التبّيين هذا سيكون في بيان في لفظه وفي معناه، ولا يمكن أن تبيّن إلا ما تفهم.

هذا كله دليل سمعي يدل على أن نصوص الصفات معانيها معلومة، الآن نرى دليلًا عقليًا يدل على أن نصوص الصفات معانيها معلومة:

(وأمَّا العقل: فلأن من المحال أن يُنَزِّل الله تعالى كتابًا، أو يتكلّم رسوله -صلّى الله عليه وسلّم- بكلام (يُقصد بهذا الكتاب وهذا الكلام أن يكون هداية للخلق)، ويبقى في أعظم الأمور وأشدِّها ضرورة مجهولَ المعني، بمنزلة الحروف الهجائية التي لا يفهم منها شيء؛ لأن ذلك من السَّفه الذي تأباه حكمة الله تعالى، وقد قال الله تعالى عن كتابه: {كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ}[1])

يعني لا تتصور من حكيم عليم أن يرسل رسوله يتكلّم بكلام والمقصد من الكلام الهداية ويبقى أعظم شيء في هذا الكلام وأشدها ضرورة مجهول المعنى، قال: **(بمنزلة الحروف الهجائية التي لا يفهم منها شيء؛ لأن ذلك من السَّفه الذي تأباه)** فهذا القانون الآن واضح في العقل أن كامل الحكمة لا يصدر منه أن يتكلّم بكلام أو أن يرسل رسوله يتكلّم بكلام ويقصد من إنزال الكتاب ومن هذا الكلام الذي تكلم به -سبحانه وتعالى- أو تكلم به رسوله يقصد هداية الخلق، المقصود هداية الخلق وهذا الكلام قاله لهداية الخلق ثم يأتي أعظم الأمور وأشدها ضرورة تكون مجهولة المعنى! هذا من السفه

---

(١) فصلت: ١.

الذي تأباه حكمة الله تعالى، وقد قال تعالى عن كتابه: {كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ}.

(هذه دلالة السَّمع والعقل على علمنا بمعاني نصوص الصفات) الاعتبار الأول.

ننظر الآن للاعتبار الثاني وهو أننا نجهل كيفية الصفات:

(وأما دلالتهما -يعني دلالة السَّمع والعقل- على جهلنا لها باعتبار الكيفيَّة فقد سبقت في القاعدة السادسة من قواعد الصفات)

نعود للقاعدة السادسة نتذكر الأدلة التي تدل على جهلنا لكيفية الصفات، انظروا للدليل على أننا لا ندرك كيفية الصفات ماذا قال؟!

قال: القاعدة السادسة من قواعد الصفات:-

أما السَّمع: فمنه قوله تعالى: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ} هذا نفي المثلية.

وقوله: {أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لا يَخْلُقُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ} كيف يُمثّل الكامل بالناقص؟!

وقوله: {هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا}، وقوله: {وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ} هذا كله على أن الله ليس له مثيل.

إذا علمت أن ليس له مثيل وأنت تعلم أن الصفات لا تُعلم إلا بواحد من ثلاثة أشياء:

إما رؤيتها أو رؤية مثيلها أو خبر الصادق عنها.

فأنت لم تره -سبحانه وتعالى- فهو لا يُرى في الدنيا، وليس له مثيل من أجل أن تُمثل صفاته بصفات الخلق، والمسألة الثالثة لم يأتيك الخبر بالكيفية، إذًا الخبر بالكيفية مجهول.

أيضا إذا سئلت: أيّ كيفية هذه التي ستقدرها في ذهنك؟! كما قال الشيخ (**و أيضًا فإننا نقول: أيُّ كيفية تقدرها لصفات الله تعالى؟ إن أيَّ كيفية تقدرها في ذهنك فالله أعظم وأجل من ذلك**) أي كيفية ستقدرها الله -عزّ وجلّ- أعظم وأجل من ذلك.

المهم أن تعلم أن إدراكك للصفات أمر مستحيل بدليل العقل وبدليل النقل {**وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ**}(١) {**وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ**}كما ذكر في رده على مسألة التمثيل وعلى مسألة التكييف لأن الممثل والمكيف كلاهما يقول: نحن نعرف كيفية الصفات. فإذا قال: أنا أعرف كيفية الصفة. انظر هل هو ممثّل؟ أجيب عليه بأجوبة، وهل هو مكيّف؟ فأجيب عليه بأجوبة التي مرّت معكم في هذه القاعدة، المهم أن نهاية الأمر أن هذه المناقشة كلها تدل على أن كيفية الصفات مجهولة.

يقول الشيخ:

(**وبهذا علم بطلان مذهب المفوضة الذين يفوضون علم معاني نصوص الصفات، ويَدَّعون أن هذا مذهب السلف. والسلف بريئون من هذا المذهب، وقد تو اترت الأقوال عنهم بإثبات المعاني لهذه النصوص إجمالًا أحيانًا، وتفصيلًا أحيانًا، وتفويضهم الكيفية إلى علم الله عزَّوجلَّ.**)

نرى الآن ما معنى مذهب المفوضة يعني إلى ماذا يذهبون وكيف ما مرّ معنا من أدلة يدل على بطلان مذهبهم.

---

(١) البقرة:٢٥٥.

المفوضة -كما يعبرون- يفوضون علم معاني الصفات، في مقابل أن أهل السّنة والجماعة يفوضون الكيفية. ومعنى كلمة التفويض: أن ينسبوا العلم لله فهم الآن يفوضون ماذا؟ يفوضون علم معاني الصفات مع أنهم إذا أرادوا أن يفوضوا لابد أن يفوضوا الكيفيات لأن الكيفية حقيقة مجهولة لكن معاني الصفات معلومة فهم إذا سمعوا الخبر ينزل ربنا إلى السماء الدنيا فتسألهم بعدما سمعوا الخبر هل الله ينزل للسماء الدنيا؟ فيجيبوا: الله أعلم، يسمعون: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} فتسألهم: هل الله سميع؟ هل الله بصير؟ يقولون: الله أعلم فهم يفوضون علم معاني الصفات ويدّعون أن هذا هو مذهب السلف، والسلف بريؤون من هذا المذهب.

ما الفرق بيننا وبينهم؟ الفرق أننا نثبت معاني الصفات ونفوّض كيفيتها، هم هروبًا من التكييف والتمثيل يفوضون المعاني فهؤلاء بمنزلة من تُجلسهم فتعلمهم العلم وتقول لهم ١+١=٢ ثم إذا سألتهم ١+١يساوي كم؟ يقولون: الله أعلم! فالله أعلم كلمة حق لكن يستعملونها في كلمة باطل.

إذًا يا أهل السّنة والجماعة، يا من شرفهم الله بأن يكونوا من أهل السّنة والجماعة ماذا تعتقدون؟ نعتقد أن صفات الله لها معاني معلومة وأن كيفية هذه الصفات لنا مجهولة وعندما تسمع أن كيفية الصفات لنا مجهولة تفهم أن للصفات كيفية لكن لنا نحن مجهولة يعني نحن لا ننفي الكيفية نفسها بل ننفي العلم بها.

كيف ظهر بطلان مذهب المفوضة؟ ظهر من الأدلة التي معنا فنحن نقول لهم كيف إذا سئلت عن الصفة الثابتة في الكتاب والسّنة وأنت تسمع دليلها ثم تسأل هل يسمع الله؟ فتقول: الله أعلم، أليس الله يقول في كتابه: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} والله -عزّ وجلّ- أنزل إليك الكتاب مبارك لماذا؟ أليس لتتدبر ولتتذكر، ولماذا قال الله تعالى: {إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ}؟ هل من أجل أنه بعدما علّمك وعقّلك وأرشدك إلى الصواب وتُسأل: هل تعلم هذا الأمر الذي ثبت بالأدلة تقول: لا الله أعلم! وإن كنا نوافقك أننا لا ندرك كيفيات الصفات.

ثم نقل الشيخ أقول السلف التي تواترت عنهم بإثبات المعاني قال:

(وقد تواترت الأقوال عنهم بإثبات المعاني لهذه النصوص إجمالًا أحيانًا، وتفصيلًا أحيانًا، وتفويضهم الكيفيَّة إلى علم الله عزَّوجلَّ)

سيأتي هنا بالكلام عن مذهب السلف أو موقف السلف، لكن لماذا أتى بنقول من كلام السلف مع خلو كتابه فيما مضى من هذا؟ يعني تلاحظون من البداية أنه فقط يستعمل الدليل النّقلي والعقلي وإذا زاد يزيد الفطرة والحس والمشاهدة الذي يستطيع أي أحد إدراكه لكن لا ينقل نقولات للسلف فلماذا هنا؟ اقرأ جيدا لنتصور الجملة التي جعلته ينقل.

أنهم يدعون -المفوضة- أن هذا منهج السلف والشيخ رد عليهم أن السلف بريؤون من هذا وهذه النقولات فيها إثبات المعاني إجمالًا وإثبات المعاني تفصيلًا ومع ذلك يفوضون الكيفية.

سنرى جزء من نقولاته، قال:

(قال شيخ الإسلام ابن تيميه في كتابه المعروف ب(العقل والنقل) (ص ١١٦، ج ١) المطبوع على هامش (منهاج السنة))

الآن مطبوع منفرد وسابقًا كان مطبوع على هامش منهاج السنة، وكان مطبوع على الهامش لأنه لم تكن الطباعة أمر متوفرًا سهلًا فكان الكتاب الواحد ماذا يفعلون؟ يطبعون الكتاب الأصلي ثم يضعون هامش ويطبعون في أطرافه كتاب آخر.

قال:

(وأما التفويض فمن المعلوم أن الله أمرنا بتدبُّر القرآن، وحَضَّنا على عقله وفهمه، فكيف يجوز مع ذلك أن يُرادَ منا الإعراض عن فهمه ومعرفته وعقله) إلى أن قال (ص ١١٨) : (وحينئذ فيكون ما وصف الله به نفسه في القرآن، أو كثيرٌ ممَّا وصف الله به نفسه لا يعلم الأنبياء معناه)

يعني إذا أثبتنا التفويض معناه أن (كثير مما وصف الله به نفسه لا يعلم الأنبياء معناه)

(بل يقولون كلامًا لا يعقلون معناه، قال: ومعلوم أن هذا قدح في القرآن والأنبياء، إذ كان الله أنزل القرآن وأخبر أنه جعله هدىً وبيانًا للناس، وأمر الرسول -صلّى الله عليه وسلّم- أن يبلّغ البلاغ المبين، وأن يبين للناس ما نُزّل إليهم، وأمر بتدبر القرآن وعقله، ومع هذا فأشرف ما فيه وهو ما أخبر به الرب عن صفاته.. لا يعلم أحد معناه، فلا يُعقل، ولا يُتدبر، ولا يكون الرسول بَيَّنَ للناس ما نُزِّل إليهم، ولا بَلَّغ البلاغ المبين)

يعني هل هذا يعقل أن الرسل مأمورون بالبلاغ وأن يبينوا للناس! والله -عزّ وجلّ- أمر بتدبر القرآن وعقله ثم تتصور أن أشرف ما فيه وهو ما أخبر الله -عزّ وجلّ- عن نفسه مجهول؟! هذا لا يقبله عقل!

إذًا تتصور أن لا يعلم معناه فلا يُعقل ولا يُتدبر ولا يكون الرسول بيّن للناس ما نُزّل إليهم ولا بلّغ البلاغ المبين؟!

وعلى هذا التقدير معناه تقدير أن الرسل لا يعلمون ما أنزل الله عليهم.

(فيقول كلُّ ملحد ومبتدع: الحقُّ في نفس الأمر ما علمته برأيي وعقلي، وليس في النصوص ما يناقض ذلك لأن تلك النصوص مشكلة متشابهة، ولا يَعلم أحدٌ معناها، وما لا يعلم أحد معناه لا يجوز أن يُسْتَدَل به، فيبقى هذا الكلام سدًّا لباب الهدى والبيان من جهة الأنبياء، وفتحًا لباب من يعارضهم)

يعني يأتي مبتدع ويقول: معنى الصفة كذا. هل تستطيع على القاعدة التي اتبعها المفوضة الذين قالوا فيها إنهم لا يعلمون معنى نصوص الصفات، فيأتي ملحد ويقول: أنا أعلم معناها، ويقول: معناها أو الحق في نفس الأمر هذا، ما علمته أنا برأي وعقلي! ويقترح هو بعقله ورأيه معنى! فهل تستطيع أن ترد على هذا الملحد وتقول: هذا ليس معناها؟! كيف وأنت تقول: الله أعلم ما معناها؟!

فإذا قلت له: انظر للنصوص سيقول لك ليس في النصوص ما يناقض ذلك وذلك اسم إشارة يعود لرأي هذا المبتدع وعقله، يقول النصوص لا تناقض رأيي وعقلي لأن النصوص ليس لها مفهوم على كلامهم؛ لأن تلك النصوص مُشكلة متشابهة ولا يعلم أحد معناه، وما لا يعلم أحد معناه لا يجوز أن يُستدل به، فيبقى هذا الكلام -كلام المفوضة- سد لباب الهدى والبيان من جهة الأنبياء وفتحًا لباب من يعارضهم. يقول: إن الهدى والبيان في طريقتنا لا في طريق الأنبياء. يعني هذا الكلام سيسد باب الهدى والبيان من الأنبياء ويفتح لنا باب البلاء والبدعة والكلام على الله بلا علم.

(ويقول: إنَّ الهدى والبيان في طريقنا لا في طريق الأنبياء؛ لأننا نحن نعلم ما نقول ونبيِّنه بالأدلة العقليَّة، والأنبياء لم يعلموا ما يقولون فضلًا عن أن يبيِّنوا مرادهم)

الأنبياء على قول المفوضة لا يعلمون ما يقولون! فيأتي زائد عنهم أن يبينوا مرادهم.

(فتبين أن قولَ أهل التفويض الذين يزعمون أنهم متَّبعون للسنَّة والسلف من شرِّأقوال أهل البدع والإلحاد. انتهى كلام الشيخ)

وله كلام في موطن آخر يقول: (إن أشر أهل البدع هم المفوضة) لأنهم فتحوا علينا باب البدع وأصبح الناس يقولون في كتاب الله بعقولهم ويقولون: أنتم يا سلف الأمة لا تعلمون ما تقولون لكن نحن نعلم ما نقول! فكانوا شر أهل البدع.

يقول الشيخ: (وهو كلام سديد) يقصد كلام ابن تيمية.

(من ذي رأي رشيد، وما عليه مزيد، -رحمه الله- تعالى رحمة واسعة، وجمعنا به في جنات النعيم)

نأتي للقاعدة الرابعة:

[القاعدة الرابعة: ظاهر النصوص ما يتبادر منها إلى الذهن من المعاني وهو يختلف بحسب السياق، وما يضاف إليه الكلام]

اتفقنا أن مصدرنا الكتاب والسّنة وأن الكتاب والسّنة عندما تنظر للنصوص لابد من إجرائها على ظاهرها، الآن الكلام حول ظواهر النصوص.

ما ضابط أن هذا ظاهر النص؟ فسيكون هناك خلاف هل هذا ظاهر الكلام أم لا؟ فقال الشيخ:

(ظاهر النصوص ما يتبادر منها إلى الذهن من المعاني وهو يختلف بحسب السياق، وما يضاف إليه الكلام فالكلمة الواحدة يكون لها معنىً في سياق ومعنىً آخر في سياق، وتركيب الكلام يفيد معنى على وجه ومعنىً آخر على وجه)

لاحظ أنه تكلم على تركيب الكلام وليس فقط على السياق وما يضاف إليه سنرى مثاله.

قال:

(فلفظ (القرية) مثلًا يراد به القوم تارة، ومساكن القوم تارة أخرى.

فمن الأول قوله تعالى: {وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلاّ نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا}[1]

من المقصود بالقرية هنا؟ أهل القرية.

ومن الثاني: قوله تعالى عن الملائكة ضيف إبراهيم: {إِنَّا مُهْلِكُو أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ}[2])

إذًا لفظة (قرية) في موطن يكون لها معنى وفي موطن آخر يكون لها معنى آخر، انظر للقرية في آية العنكبوت ماذا معناه؟ معناه المساكن وفي آية الإسراء قصد بالقرية أهلها، فنفس كلمة قرية مرة قصد بها قرية ومرة قصد بها أهل القرية.

قال:

(وتقول: صنعتُ هذا بيدِي، فلا تكون اليدُ كاليد في قوله تعالى: {لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيّ}[3]؛ لأنَّ اليد في المثال أضيفت إلى المخلوق فتكون مناسبةً له، وفي الآية أضيفت إلى الخالق فتكون لائقةً به)

---

(١) الإسراء: ٥٨.

(٢) العنكبوت: ٣١.

(٣) ص: ٧٥.

وهذا مرّ معنا: أن الإضافة تدل على التخصيص. فعندما تقول: صنعت هذا بيدي، فـ(يد) أضيفت لي، فيدي أنا تناسبني وعندما أقول: (لما خلقت بيدي) عن الله -عزّ وجلّ- فـ(يد) الله -عزّ وجلّ- تختص به، ونحن قلنا إن ظاهر نصوص الصفات يختلف بحسب السياق وما يضاف إليه من كلام، فلفظ القرية كان مثالًا للسياق، وكلمة يد مثالًا لما يضاف إليه من الكلام.

قال:

(فلا أحدَ سليم الفطرة صريح العقل يعتقد أن يد الخالق كَيَدِ المخلوق، أو بالعكس)

نأتي للنقطة الثالثة وهو تركيب الكلام، فقال:

(وتقول: (ما عندك إلَّا زيد)، و(ما زيد إلَّا عندك) فتفيد الجملة الثانية معنى غير ما تفيده الأولى، مع اتحاد الكلمات، لكن اختلف التركيب فتغيَّر المعنى به)

(ما عندك إلا زيد) هل هي مثل و(ما زيد إلا عندك)؟! جملة (ما زيد إلا عندك) تأتي في أساليب التهديد أما جملة (ما عندك إلا زيد) تدل على الخبريَّة وتوحيد زيد بالوجود لكن ما زيد إلا عندك انظر نفس الكلمات لكن تحولت فاختلف المعنى.

وهذا ما يُدرس ويعطى في ورشة نحو المعاني، تُعلّم كيف أن تركيب الكلام يؤثر في المعنى، وهنا أمثلة كثيرة لكن أخشى على الوقت وأخشى أن تُشكل عليكم.

قال:

(**إذا تقرَّرَ هذا**) معناه أن ظاهر النصوص يختلف بحسب السياق وما يضاف إليه من كلام وعلى حسب تركيب الكلام

(فظاهرُ نصوصِ الصِّفات ما يتبادر منها إلى الذِّهن من المعاني)

ثم ذكر الشيخ انقسام الناس في ظاهر النصوص إلى ثلاثة أقسام.

انتهت اللقاءات. والحمد لله رب العالمين..

الفهرس

اللّقاء الأوّل..٣

[قواعدُ في أسماء الله تعالى] ١٠

[القاعدةُ الأولى: أسماءُ اللهِ تعالى كلُّها حسنى] ١١

[القاعدة الثّانية: أسماءُ اللهِ تعالى أعلامٌ وأوصافٌ] ٢٤

اللقاء الثاني.. ٣١

[القاعدةُ الثالثةُ: أسماءُ الله تعالى إنْ دلَّت على وصفٍ متعدٍّ
تضمّنت ثلاثةَ أمور: ٤٨

[القاعدةُ الرابعةُ: دلالةُ أسماء الله تعالى على ذاته وصفاته تكون
بالمطابقة، وبالتضمُّنِ، وبالالتزامِ] ٥٦

اللّقاء الثّالث.. ٦٣

[القاعدةُ الخامسةُ: أسماء الله تعالى توقيفيةٌ لا مجال للعقل فيها]
.... ٧٦

[القاعدةُ السادسةُ: أسماءُ الله تعالى غيرُ محصورة بعدد معيَّن] ٧٨

[القاعدةُ السابعةُ: الإلحادُ في أسماءِ الله تعالى هو الميلُ بها عمَّا
يجب فيها] ٨٦

اللقاء الرابع.. ٨٩

[قواعدُ في صفات الله تعالى] ٩٤

[القاعدةُ الأولى: صفاتُ الله تعالى كُلُّها صفاتُ كمالٍ لا نقص فيها]
.... ٩٤

[القاعدةُ الثَّانيةُ: بابُ الصِّفات أوسع من باب الأسماء] ١٠٩

[القاعدةُ الثالثةُ: صفات الله تعالى تنقسم إلى قسمين: ثبوتيةٌ وسلبيةٌ] ١١٢

[القاعدةُ الرابعةُ: الصفات الثبوتيَّة صفات مدح وكمال] ١٢٢

اللقاء الخامس.. ١٢٦

[القاعدةُ الخامسةُ: الصفات الثبوتيَّة تنقسم إلى قسمين: ذاتيَّة. وفعليَّة.] ١٢٨

[القاعدةُ السادسةُ: يلزم في إثبات الصفاتِ التَّخلي عن محذورين عظيمين] ١٣٩

اللقاء السادس.. ١٥٠

[القاعدة السابعة: صفاتُ الله تعالى توقيفيةٌ لا مجالَ للعقل فيها فلا نثبت لله تعالى من الصفاتِ إلا ما دلَّ الكتاب والسّنة على ثبوته] ١٥١

[قواعد في أدلةِ الأسماء والصِّفات] ١٦٠

[القاعدةُ الأولى: الأدلَّة التي نُثبتُ بها الأسماءَ لله تعالى وصفاتِه هي: كتاب الله تعالى وسنَّة رسوله -صلى الله عليه وسلم- فلا تُثبتُ أسماءُ الله وصفاتُه بغيرهما] ١٦٠

[القاعدة الثانية: الواجب في نصوص القرآن والسنَّةِ إجراؤها على ظاهرها دون تحريفٍ، لاسيَّما نصوص الصفات، حيث لا مجال للرأي فيها] ١٦٨

اللقاء السابع ١٧٣

[القاعدةُ الثالثةُ: ظواهر نصوص الصِّفات معلومة لنا باعتبار ومجهولة لنا باعتبار آخر، فباعتبار المعنى هي معلومة. وباعتبار الكيفيَّة التي هي عليها مجهولة.] ١٧٥

[القاعدة الرابعة: ظاهر النصوص ما يتبادر منها إلى الذهن من المعاني وهو يختلف بحسب السياق، وما يضاف إليه الكلام]..١٨٦